481

HARLEQUIN

روايات أحلام

من أجلك فقط

إليزابيث باور

www.rewity.com

من أجلك فقط

الجميع يظنون أنهم يعرفون شانون بوفير جيداً. إنها تلك الفتاة المستهترة العابثة، وريثة الملايين، والتي لا تتورع عن القيام بأي شيء في سبيل الإيقاع بالرجال. اما شانون فكانت سعيدة في عالمها الخاص، تاركة الآخرين يصدقون ما يشاع عنها من أكاذيب ...

www.rewity.com

ظل كاين فالكونر، كما كان الجميع يظنون، أنه يعرف هذه المرأة بصورة جيدة وهو لن يقع في حبائلها.

لكن مهمته الآن هي إغواء شانون، وهذا المليونير الوسيم يعرف تماماً كيف يقوم بذلك.

Breathless

Breathless

لبنان:	3000 ل.ل	البحرين:	1 دينار
سوريا:	100 ل.س.	السعودية:	10 ريال
الأردن:	1.5 دينار	مصر:	8 جنيه
الكويت:	750 فلس	المغرب:	15 درهم
الإمارات:	10 دراهم	تونس:	2.50 دينار
قطر:	10 ريال	عمان:	1 ريال

EPPDC
RWAIAT AHELAM
9 789953 153742
Dhs 10.00

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول: «مال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من Harlequin Books S.A

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Books S.A

العلامة التجارية Harlequin وشعار Joey هما ملك شركة Harlequin Books S.A
وهما مستعملان هنا بترخيص منها

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص
حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
Tamed by her husband
First Puplished in Great Britain 2005
Harlequin Mills & Boon Limited
©Elizabeth power 2005
Translation © Dar El-Farasha - 2010
ISBN 978 - 9953 - 15 - 516 - 6

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - ستر زعرور -
ص.ب: 8254/ 11 هاتف/ فاكس: 450950 - 453115 -1-0961 - بيروت - لبنان
Email: info@darelfarasha.com - http:www.darelfarasha.com

أعزائي القراء

لأننا عوّدناكم دائماً على أجمل الروايات العاطفية... ولأننا نعرف أن قراءنا لا يرضون بأقل من الأفضل... ولأن هدفنا دوماً المحافظة على واحة حب تخفّف من وطأة الآلام والهموم في عالمنا... لهذا، اخترنا أن تكون هديتنا إلى قرائنا هي انضمامنا إلى أسرة هارلكوين Harlequin العالمية.

لماذا هذا الاختيار؟

لأن شركة Harlequin هي رائدة الروايات الرومنسية في العالم أجمع، وهي تتعاون مع أفضل الروائيات في هذا المجال، وتصدر شهرياً أكثر من ٧٠ عنواناً جديداً.

ستظل روايات أحلام على سابق عهدها من حيث اختيار القصة الشيّقة والأسلوب الرفيع واللغة السليمة... والتغيير الذي ستلاحظونه هو في زيادة عدد الروايات شهرياً، وتنوع الموضوعات لتناسب جميع الأذواق، وسيكون لمشاركتكم باختيار المواضيع المفضلة لديكم وبأسماء الروائيات اللاتي أحببتموهن، الدور الأساسي.

بكل إخلاص
أسرة أحلام

www.rewity.com

إليزابيث باور

ولدت في «بريستول» حيث لا تزال تعيش مع زوجها في منزل عمره 300 سنة. كانت في عمر المراهقة قارئة نهمة وقد قررت منذ ذلك الوقت أن تصبح روائية. لكنها لم تحترف الكتابة جدّياً إلا في سنّ الثلاثين. تعشق إليزابيث باور الطبيعة والحيوانات لذلك هي نباتية.

أما السفر إلى أماكن نائية وغريبة فهو مصدر إلهام لها ووسيلة للاستمتاع بالطبيعة والطعام اللذيذ... وهناك طبعاً تستطيع أن تجد مواقع خلّابة لكتابها الجديد!

١ ـ لقاء مفاجئ

استطاع كاين فالكونر أن يشعر بالتوتر في الجو. بدت الحرارة القوية في تلك الأمسية خانقة فعلاً، وبالرغم من أنه يرتدي بذلة رقيقة، إلا أنه شعر بعدم الارتياح.

مدينة برشلونة هي عادة المكان الذي يحب أن يتسكع فيه، أما الآن فأحس بالسعادة لأنه أنهى المهمة التي أتى من أجلها. مشى عبر شارع المشاة الذي تزينه الأشجار، وتنتشر حوله المتاجر المليئة بالهدايا التذكارية والمقاهي المنتشرة في الهواء الطلق.

مسيرة الطلاب المعارضين التي لم يكن يعيرها اهتمامه شلت حركة المدينة تقريباً. في الشوارع المحيطة، راحت أبواق السيارات تدوي، فيما ضاعفت هذه الأخيرة من سرعتها، وراح سائقوها يتقاذفون العبارات الشنيعة.

وتاق كي يجد مكاناً خاصاً به. على الأقل يمكنه أن يغادر، فهو ليس مضطراً إلى البقاء هنا في الضجيج والحرارة والغبار. ألقى نظرة نحو البراعم البراقة في سلة تزين أحد المتاجر، وإذا بعينيه تقعان على فتاة تقف على أطراف أصابع قدميها، فيما يرتفع رأسها، ويندفع إلى الخلف، وهي تشم أحد البراعم المتدلية.

كان شلال شعرها الباهت اللون يتماوج كالعسل على ظهرها. بسرعة فائقة أدرك كاين هويتها من خلال طول عنقها المذهل.

شانون بوفيير! من بين كل الأماكن في البلاد والعالم، لم يتوقع قط أن يجدها هنا. حين سأل عن العنوان الذي أعطي له في ميلانو قبل ستة أشهر، قال له صاحب الفندق إنها انتقلت للعيش مع حبيبها، وإنهما

www.rewity.com

سافرا معاً، لكن أحداً لا يعرف مكانهما.

شانون بوفيير، الوجه الاجتماعي المعروف و«الغانية الغنية» كما يلقبها البعض، هي وريثة لشركة كبيرة، لم ترغب فيها ولم تهتم لها قط. لاحظ كاين أن شانون بدت أكثر نحافة بالمقارنة مع المرة الأولى التي رآها فيها، وذلك بعد أن جال نظره على قميصها الضيقة وسروالها البالي الذي يشبه الثياب العسكرية. بدت ملامحها كالحة تقريباً بالنسبة إلى سنين مراهقتها المتفتحة التي جعلت سمعتها تحت رحمة الصحافة البريطانية. بالرغم من ذلك، تأكد كاين أنها هي نفسها. بان عزمه من خلال اشتداد فكيه وتوتر جسده، فيما اقترب منها أكثر.

أخذت شانون زهرة الأوركيد التي أعطتها إياها صاحبة المتجر، فقد اعتادت المرأة القيام بذلك عندما تمر «السنيوريتا الهشة» كما تسميها، بالقرب من متجرها.

هزت المرأة كتفيها، ورمت ذراعيها في الهواء منزعجة من صياح المتظاهرين. من المفترض أن تكون هذه المظاهرة سلمية، إلا أن بعض المنشقين هددوا بأن يوقعوا الفوضى فيها. تذكرت شانون ذلك بصعوبة، وهي ترمي نظرة سريعة من فوق كتفها. ما لبثت أن أطلقت شهقة لرؤيتها رجلاً يسد المنظر أمامها.

- مرحباً شانون.

تحرك شيء ما في داخلها، وأحست بذلك الحماس المألوف الذي لطالما كانت تحس به في وجوده، بالإضافة إلى شعورها بشيء آخر، جعلها تشعر بالحذر على الفور. إنه الشخص الأخير الذي تتوقع أن تلتقي به. لكن، ها هو هنا، روحاً وجسداً!

بدا كاين جذاباً رائعاً. لم تعد شانون تركز على أي شيء آخر بوجوده المؤثر الذي طغى على الفوضى العارمة، فأصبح هو الشخص الوحيد الذي تراه في لاس رامبلاس. أصبحت المظاهرة التي كانت في أوجها على الشارع أشبه بخلفية الفيلم... مشهداً غير حقيقي إنما ثانوي لما يدور بينهما.

- كاين!

إذا كانت شانون تريد أن تبدو لامبالية برؤيته، فقد أفشلت صدمتها بالتلفظ باسمه القصير لذتها البسيطة تلك. مضى وقت طويل على لقائهما. ارتاحت عيناها على وجهه القوي العظام، الأمر الذي ذكرها بكل تفاصيل ملامحه، من شعره البني الكثيف المقصوص ببراعة، وجبهته العالية، وشكل فكيه المربع الصلب، إلى الشق المميز لذقنه... قالت له: «ماذا تفعل هنا؟».

بدا واضحاً من خلال بذلته المطرزة الباهتة اللون التي أظهرت قوة بنية جسده أنه ينجز عملاً ما، بالرغم من أنه لا يضع ربطة عنق، كما أن أزرار قميصه البيضاء مفكوكة عند العنق، ما أظهر جزءاً من بشرته السمراء تحت حنجرته المشدودة.

- كنت على وشك أن أطرح عليك السؤال نفسه.

بدا صوته ناعماً وعميقاً ومرتاحاً. لم يبد عليه أي توتر أو اضطراب مما تشعر هي به. تركها تتساءل لفترة عما ستقوله، ثم قال: «ظننت أنك سافرتِ بعيداً».

أخذت عيناه تطوفان على ملامح وجهها الدقيقة بنظرات تقييمية. أضاف: «أخبرني أحدهم أنك في ريو دي جينيرو».

تخلصت شانون ذهنياً من تأثير عينيه الزرقاوين المائلتين إلى اللون الرمادي، اللتين تحدقان بها. هل يرغب كاين بإجراء حديث معها أم أن ذلك مجرد تعليق عادي من قِبله؟ هل يشير بعدم اكتراث إلى الفتاة التي دمرت حياة الكثيرين، والتي تصدرت عناوين الصحف لعدة أيام منذ ثلاث سنوات، موفرة مادة دسمة لمحبّي الفضائح؟

- حسناً... ! كما ترى...

ضحكت شانون بعدم اهتمام، ثم رمت ذراعيها حولها قائلة: «... كنت في ريو دي جينيرو».

تمنّت بعدئذٍ لو أنها لم تفعل ذلك، بعد أن لفتت حركتها تلك انتباه الرجل إلى قميصها الأرجوانية التي طرز عليها شعار: «إعتاق الثيران».

بدا فمه قوياً، أما عيناه الجامدتان فبدتا كأنهما تسخران منها. سألها كاين: «أما زلتِ تحاربين من أجل تلك القضية الخاسرة، شانون؟».

لم تخفض شانون نظرها حتى، فيما أجابت: «على أحدهم القيام بذلك».

التوت شفتاه بين تكشيرة وابتسامة، ثم قال: «أميل نحو الرأي الذي يقول إنك إذا كنتَ ضيفاً في بلد آخر، فيجب أن تحترم عاداته».

رفعت شانون ذقنها، وقالت بهدوء: «أنت حرّ بأن تعتقد ذلك».

تركها تشعر كأنها شخص ربح لتوّه جولة واحدة لأن خصمه سمح له بذلك. سألها: «إذاً، ماذا تفعلين في إسبانيا؟».

بعد أن فكرت ملياً، هزت كتفيها قليلاً، وقالت: «أمضي بعض الوقت».

حسناً! إنها الحقيقة، لكنها ليست الحقيقة المطلقة.

غاب المرح عن الوجه الذكوري القوي، واستقر فمه على خط متجهم، فيما قال: «ماذا يعني ذلك، بحق السماء؟».

توترت شانون، وهي تشعر بعدم موافقته من خلال نبرته الرقيقة الخطيرة. حسناً! لطالما عارضها كاين بآرائه المسبقة عنها مثله مثل أي شخص آخر. هي ما زالت تذكر المرة الأخيرة التي اتهمها فيها أنها شخصية تسعى إلى لفت انتباه المجتمع. تفاجأت شانون لأن تلك الذكرى ما زالت تؤلمها.

- أعني أنه مكان جيد للتسكع.

- أهذا ما تفعلينه حقاً؟

أكّد لها الازدراء الذي لمحته فوق شفتيه أنه ليس معجباً بإجابتها.

هزّت شانون رأسها مجدداً بحركة لامبالية، لا تعني شيئاً، ولا تعبّر عن أي شيء مطلقاً. فكرت بمرارة أنه قد يتوقع كل شيء منها. بطرف عينها، استطاعت شانون أن ترى المرأة في متجر الأزهار تتفحصهما، وتتمعّن بهما جيداً، معتبرة إياهما حبيبين على الأرجح. ذلك الرجل الطويل القامة المليء بالحيوية وتلك الفتاة الشقراء التي تناهزه بطول قامتها. تساءلت ما إذا كان الجميع يعتبرهما حبيبين، وما إذا كانوا

يشعرون بذلك التيار الكهربائي الخفي الذي يوتر الجو حولهما... ذلك التفاعل الخفي الذي يسري دوماً بينهما، والذي يعرفانه تماماً، حتى قبل أن تندفع شانون بعنف خارج مكتب أبيها، رافضة أن تنصاع إلى رغبة رانولف بوفيير.

- أين تقيمين؟

حتى وهو يسألها، شعر كاين بالتوتر يزداد في داخله.

اسم المكان الذي ذكرته بدا مميزاً، لكن كاين لم يتوقع أقل من ذلك.

- أأنت في إجازة؟

بدت مترددة قليلاً، قبل أن تهز رأسها بالإيجاب.

- هل أنت هنا وحدك؟

جالت عيناه على وجهها، الذي ما زال مذهلاً رائعاً، بالرغم من أنه يبدو كالحاً.

- نعم.

إذاً لم يطل بقاء حبيبها معها. علق قائلاً: «لِم لا يفاجئني ذلك؟».

- لا أعلم. لِم لا تتفاجأ؟

يا إلهي... كم هي واثقة من نفسها! تساءل كاين، كم تبلغ من العمر الآن؟ إحدى وعشرين سنة؟ بالرغم من أنها كانت مراهقة نحيلة وطويلة القامة، فإنها تتمتّع باتزان يفوق امرأة تبلغ ضعفي عمرها.

- هل لديكِ شقة هنا؟

صحّحت شانون له: «بيتاً».

وأضافت: «إنه ملك صديقة لي».

- أفهم ذلك.

أجابته كارهة للنبرة المزدرية التي ظهرت في صوته: «لا. إنك لا تفهم».

ربما لا! تساءل كاين عن سبب ارتدائها لتلك الثياب البالية، وعمّا حدث لها، لكنه لم يشأ أن يتابع المسألة، ولا أن يكتشف أن لديها حبيباً، فهذا الأمر يسبب له اضطراباً غير متوقع.

- إذاً، ماذا تفعلين بعد أن تتعبي من التسكع في شوارع برشلونة؟

بدت كلماته قاسية جداً، فيما أضاف: «أم أن هذا غير وارد؟».

- بل هو وارد؟

خلافاً له، بدت نبرتها باردة وغير مكترثة. سألها كاين بجفاء: «متى؟».

وأردف: «أحين يحدث شيء ما، أم حين تصادفين شخصاً أكثر جاذبية؟».

استطاعت شانون أن تشعر بالغضب المستتر تحت مظهره البارد غير المضطرب، الذي لم تجد له سبباً. نعم! كانت غبية، ودفعت الثمن غالياً، لكن ذلك حصل في الماضي، فلِم يبدو مصراً على تذكيرها به؟

والآن، رداً على ملاحظته المتعلقة بشخص أكثر جاذبية، قالت: «ذلك ما يحدث عادة».

رفضت أن تدعه يرى من خلال السياج غير المرئي الذي أنشأته حولها، شانون بوفيير الحقيقية.

- ألم يخطر ببالك أن أباك يتساءل عن المكان الذي تتجول فيه ابنته؟

في خضم الضجيج الذي يسود حولهما، أتى سؤاله هذا قاسياً ومحطاً من قدرها. أضاف: «ألم تفكري مرة في العودة إلى المنزل؟».

أخذ الألم يتنافس مع الغضب الذي أثارته نبرته الانتقادية في أعماق شانون، وهو إحساس كافحت بقوة كي تقمعه. أوضح رانولف بوفيير جيداً ما يتوقعه من ابنته الوحيدة، لاسيما بعد الفضيحة التي تورّطت فيها. لم تكن تلك هي الحياة التي تريدها شانون، وقد تمتعت باحترام ذاتي أكبر وهي تعيش الحياة التي لطالما أرادتها خلال السنتين والنصف الماضية، والتي لا يعرف عنها كاين فالكونر شيئاً. بدت حالها أفضل مما كانت عليه تحت وطأة ملايين أبيها المسيطرة.

- لا. كاين! لم أفكر بالعودة إلى المنزل، ولا أظن فعلاً أن لك علاقة بالموضوع.

- حتى إنك لم تسألي عن حاله، ولا عن كيفية سير الأمور في

إنكلترا!

فورة سريعة من القلق أعتمت اللون الأزرق اللامع في عيني شانون. في البدء، ظلت تتابع سير الأمور في المنزل من خلال قراءة الصحف، متلقفة أي خبر متعلق بالشركة، فتطمئن بصورة غير مباشرة عن أبيها. إلا أن ذلك بات من الماضي، لأنها على مدى الأشهر الماضية لم تكن في موقع يسمح لها باستطلاع المعلومات... سألته بتردد: «هل تواصلت معه؟».

إن كان قد فعل، فهذا سوف يفاجئها. بسبب الطريقة التي تخلى بها كاين عن العمل في الشركة، نشأت بين الرجلين كراهية تصعب معها العودة إلى الوراء.

قال كاين بصوت غير لطيف: «انسي الموضوع».

ثم أضاف: «كما قلتِ، ما تفعلينه ليس من شأني».

حشر يده الأخرى في جيبه، وهو يلتفت من فوق كتفه إلى شارع المشاة المزدحم، فيما بدا فكّه مشدوداً كحجر صلب. أراد كاين أن يقول أكثر من ذلك. استطاع أن يشعر بالكلمات تخنقه كما يخنق ازدحام السيارات الطرقات، لأن المتظاهرين صاروا عند أعلى لارامبلا الآن. سمع بعضهم يغنون، وآخرون يصيحون، الأمر الذي هيّج الفوضى الناتجة عن التظاهرة، فكان عليه أن يرفع صوته.

- ما نفع ذلك؟

أجابت شانون بهدوء: «يريدون العدالة والتفاهم».

تساءل كاين إن كانت تغمز من قناته عمداً بهذه الكلمات. ألهذا السبب راحت تنظر إليه كأنه ظالم لا يرحم، ويعاملها بأسلوب غير عادل؟ أهي تدينه لأنه غير قادر على تفهمها؟ صوتها الخفيض ولطافتها، وهشاشتها لامست قلبه، ما دفعه إلى الإدراك بغضب أنه ليس أقل اهتماماً بها من أي رجل آخر عرفته. آه! الآن فهم الأمر جيداً. فهم أن رانولف بوفيير كان يعاني من فقدان ابنته الوحيدة، فيما كانت ابنته الأنانية الساعية وراء أهوائها الشخصية تطير حول العالم، وتستمتع بوقتها، وتفتش عن

المرح، كما اعترفت بنفسها.

قال كاين بصوت أعلى: «لربما هم مخطئون بشأن ذلك».

أضاف: «بالكاد يمكنهم أن يأملوا بالتعاطف معهم، بعد أن منعوا الأشخاص المتعبين من الوصول إلى بيوتهم بعد نهار عمل طويل».

لطخات من الألوان غمرت بشرة خديها الخالية من العيوب. قالت: «إنهم لن يحصلوا عليه حتى لو استلقوا على ظهورهم، وقبلوا بالأوضاع كما هي».

كما رفضت أن تفعل؟ خطرت هذه الفكرة بباله من دون سابق إنذار. في الواقع، مهما كانت طريقة تصرّفها، لا شك أن رانولف بوفيير تعامل معها بإرادة من حديد، كما تعامل مع كل من هم تحت سيطرته، سواء كانوا عمال تنظيف أم زملاء في العمل أم موظفين. فيما راح كاين ينظر إلى الفتاة النحيلة التي أثرت به بطرق عدة، خجل من الاعتراف بها، والتي بدت طبيعتها المتمردة قوية جداً بالمقارنة مع مظهرها الهش المُقلق.

- يفاجئني أنكِ لستِ بينهم...

ارتفع ذقن كاين عالياً. وأضاف: «... تقودين الموكب».

- كان من الممكن أن أتواجد، لكنني...

تشتّت انتباهها بشيء بعيد جداً على الطريق. تبع كاين نظرة شانون، التي توجهت نحو مجموعة من الشبان يصيحون ويتدافعون خارج أحد المقاهي.

قال فجأة: «لكنك... ماذا؟».

لم يتمكن من كبح سخريته، فأكمل: «أكان لديك عمل ممتع أكثر لتقومي به؟».

لبضع ثوانٍ، بدأت عيناها الزرقاوان تظلمان، ثم عدلت نظرتها، وهزت رأسها بتحدٍ، مجيبة: «نعم. هذا صحيح!».

أضافت مع ابتسامة لطيفة مصطنعة: «كنت...».

شيء ما قُذف باتجاههما... على الأرجح أنها زجاجة عصير سقطت

على الأرض وراء شانون محدثة قرقعة قوية، الأمر الذي بعث إنذاراً بالخطر في دم كاين. قال كاين بإصرار: «أظن أنّ الوقت حان لنبتعد عن المكان».

بالرغم من ذلك، وبطريقة مفاجئة، ابتعدت شانون عن اليد التي تشبثت بمرفقها، وبدأت تقول: «لا أظن أنني بحاجة...».

إلا أن جملتها قوطعت بصرخة صغيرة، فيما ارتطمت بجبينها قطعة خشب خشنة، فصاحت: «آآ...خ!».

التفت ذراع كاين حولها. لم يستطع أن يكبح الشتيمة العنيفة التي انطلقت من فمه حين التقطها. شعرت شانون كأنها عصفور دوري صغير أمام قوته. سألها كاين: «هل أنت بخير؟».

لبضع لحظات، بدا كل شيء متأرجحاً.

- شانون!

وقع تعليق كاين القَلق كالصاعقة على حواسها. هزّت شانون رأسها إلى الأمام والخلف، وسمعت لهاثه الثقيل المعبّر عن الارتياح.

- لِم أنتَ غاضب؟ دائماً تتصرف معي بغضب.

خرجت الكلمات من فم شانون ثقيلة، كأنها ثملة.

- كفى! يمكنك أن تمشي. أليس كذلك؟

أكّدت له، فيما استعادت وعيها: «بالطبع... يمكنني ذلك».

لكن ما لم تستطع فعله، هو ألا تشعر بدفء تلك الذراع التي تلتف حولها، ما جعلها تود لو تستند إليه، وتتركه يتولى أمرها، ويقودها، فيما تنغمس هي في الراحة والحماية اللتين يقدمهما لها. تنفّست معترضة، وهي تكافح جسدياً وعقلياً كي تحرر نفسها. قالت: «أنا بخير».

- تعالي، إذاً!

أصرّ كاين بصوت أجش، فيما التقط مرفقها مجدداً، منتشلاً حقيبة الكتف القذرة التي أوقعتها أرضاً حين ترنحت، ثم حثّها للسير أمامه.

- زهرة الأوركيد!

نظرت شانون إلى الخلف، فرأت زهرتها المسكينة مرمية على

الأرض، مسحوقة ومكسورة على الرصيف.

- اتركيها.

أمرها كاين بذلك، فشعرت بدموع سخيفة غير متوقعة تخز عينيها، فيما هرع بها بعيداً.

عند نهاية شارع المارّة، دفعها كاين إلى سيارة أجرة.

سألته شانون حين صعد إلى جانبها، وأعطى السائق تعليماته: «لِم نحن ذاهبان إلى حوض السفن؟».

- لأنني قدِمتُ على متن مركب.

أقفل باب السيارة بطريقة عنيفة منذرة بالشؤم، ثم أضاف: «يمكنك أن ترتاحي على متنه حتى انتهاء هذه الفوضى».

أخذ صدغا شانون ينبضان، فيما سألته: «أي مركب؟».

حين رآها كاين عابسة، ابتسم قليلاً، ثم قال لها فيما راحت سيارة الأجرة تشق طريقها عبر الشارع المكتظ باتجاه المرفأ: «شيء يجمع العمل والمتعة على السواء».

ثم أردف: «لحسن الحظ، قمت بانجاز معظم الأعمال، لهذا النهار على الأقل».

لم تظن شانون أنها قادرة على تحمل احتجازها مع كاين فالكونر في مكان محصور كالمركب.

أصرّت، وهي تنظر بقلق إلى الخلف من فوق كتفها: «أظن أنني... يجب أن أحاول العودة إلى المنزل».

- وكيف تقترحين فعل ذلك؟ بركوب الحافلة؟ أم أنك تأملين بإيجاد سيارة أجرة تطير بك إلى البلدة مجدداً؟

من الواضح أن ما يقوله صحيح، فهي لا تملك وسيلة نقل خاصة بها. تركت شانون سيارتها البورش، كغيرها من ممتلكاتها، في إنكلترا حين هربت منها ومن الحياة التي لم تعد تستطيع مواجهتها. فكرت أنه على حق في ما يقوله، وهي تنظر مجدداً إلى ازدحام المدينة الخانق. بدا المنظر خلفهما مخيفاً أكثر فأكثر، فما من سيارة واحدة تتحرك، وكل

الحافلات وسيارات الأجرة عالقة في ازدحام غير معقول.

قالت: «يمكنني أن أمشي».

- مع تلك الضربة على رأسك؟

تغلغلت في كلماته معاني الشك، ثم أضاف: «أتشعرين أنك قادرة على ذلك؟».

تمنت شانون لو أنها تستطيع أن ترد بالإيجاب، إلا أن الحقيقة مخالفة لهذا تماماً. سألها كاين بلطف أكبر حين لم تجبه: «ما الداعي إلى السرعة؟ هل ينتظرك حيوان مدلل جائع في المنزل؟».

- لا.

ضحك كاين بلطف، وهو يشعر بتردّدها البطيء. نصحها قائلاً: «لا تقلقي! إذا كنتِ سوف تواعدين أحدهم الليلة، سأحرص على أن أعيدك إلى هناك قبل أن يظن أنك استغنيت عنه».

- شكراً.

قالت شانون هذا على الفور، وهي تشيح بنظرها نحو النافذة حيث تغلغلت شمس حزيران البرّاقة في شعرها الذهبي اللّماع، ما أبرز جمال منظرها الجانبي الأخاذ.

قال كاين فجأة: «هل تفعلين؟».

- أفعل... ماذا؟

- أتواعدين أحدهم؟

أجابته بهدوء: «لا أرى أن لك علاقة بالأمر».

قال: «معك حق. هذا ليس من شأني».

- لِم سألت إذاً؟

تحدّته شانون، آملة أن تتغلب عليه. أضافت: «هل كان ذلك تمهيداً لتدعوني أنت إلى موعد ما؟».

ضحك كاين بصوت فظ ساخر، أعلم شانون أن ذلك هو رأيه بالفكرة. تسنّت لكاين فرص كثيرة ليدعوها في الماضي، لكنه لم يفعل. فجأة شعرت بالاحباط، فغمغمت قائلة: «صدّق أو لا تصدق كاين! أنا

أبقى في المنزل أحياناً كي أغسل شعري».

– ما معنى ذلك؟

– أحياناً لا يكون لدي شيء معين لأقوم به.

النظرة التي رمقها بها كاين بدت مفعمة بالشك المطلق.

قال وفمه يلتوي بسخرية: «لابد أن الأمر صعب. ما من شيء تفعلينه طوال النهار، أو من شيء تفعلينه طوال الليل».

بدت عيناه أكثر جدية الآن، وهما تقيّمانها بعدم ارتياح. أضاف: «لربما اعتبرتك أكثر ذكاء لو أنك لا تطوفين العالم بهدف «قتل الوقت» كما اعترفت بنفسك».

رمقته شانون بنظرة سريعة. هل كان ليعتبرها ذكية تستحق التقدير؟ اعتراها إحساس دافئ ومتهور.

– من قال إنني أطوف العالم؟

أجاب متجهماً: «ألست كذلك؟».

قبل أن تستطيع الإجابة، أردف كاين: «الحياة ليست مجرد حفلة كبيرة هائلة، شانون. أتمنى أن تكوني قد تعلّمتِ هذا الآن».

نظرت شانون إلى خارج النافذة، وهي تعض لسانها كي توقف نفسها عن التفكير بما كانت عليه أهمية الحفلات بالنسبة لها. على بعد بضعة أميال، ظهرت سلسلة من الصواري تتمايل على المراكب في الحوض، بالإضافة إلى مركب إبحار صغير يرسو بجانب الزوارق اللّماعة.

راح الهواء يتلاعب بشعرها. أعادت انتباهها إلى كاين مجدداً، وأضافت: «ربما ليس بالنسبة لك كاين، لكننا نعلم كلانا، أنني واحدة من أولئك اللواتي مُنحنَ امتيازاً معيناً. أبي كان يدفع حوالة لكل احتياجاتي من خلال المصرف مباشرة، مرة في الشهر. كنت أستيقظ متأخرة في أغلب الأيام، فأستطيع أن أحظى بفرصة الاستمتاع ليلاً!».

أدار كتفيه العريضتين، وأحكم فمه بازدراء. بدا ضخماً جداً، ومسيطراً وجذاباً على نحو مزعج. هذا ما أخذت شانون تفكر به مع شعورها بانقباض في حنجرتها، وهي تلاحظ الطريقة التي يرمقها بها.

همس كاين بصوت خفيض: «هل يجب أن أُعجب بهذا؟».

غمغمت وهي تشيح بنظرها عنه: «اذهب إلى الجحيم».

بعد أن دفع كاين أجر سيارة الأجرة، رفضت شانون المساعدة التي قدّمها لها في حوض السفن، فشقت طريقها بنفسها على طول رصيف الميناء. سألته بتهكم: «أي مركب لك؟».

راحت تنظر إلى مراكب صيد السمك البسيطة، التي ترسو إلى جانب زوارق للرحلات أُعدت لتكون سريعة، لكنها لم تزوّد بوسائل الراحة. راحت شانون تتلكّأ وهي تسير خلف كاين، فقد وجدت من الصعب اللحاق بخطواته الواسعة. توقف كاين بجانب أحد الزوارق الصغيرة، حاجباً عنها صورة اليخت ذي الخطوط البراقة الملساء الذي يتمايل في وسط المحيط، والذي لفت انتباهها. انتظرها لتلحق به. أبعدت نظراتها الحذرة عن ذلك اليخت الفخم الذي يصل طوله حتى الخمسين قدماً. فكرت، هذا يناسبك أكثر، كاين! فهو ينطبق أكثر على أسلوب حياتك: السرعة، والفعالية، والثمن الباهظ.

– هل أنتِ بخير؟

عرفت، فيما اقتربت منه، أن تينك العينين اللاذعتين رأتا قطرات العرق على جبينها، والطريقة التي يرتفع بها صدرها قليلاً لكن بسرعة، ما جعل تنفسها سطحياً.

– أنا بخير.

لكنها ليست كذلك. إنها تشعر بالإنهاك.

– هل تؤلمك تلك الضربة على رأسك؟

– لا، أنا بخير.

غمغمت شانون بذلك، وهي تمر بجانبه كي لا تلفت النظر إليها. في الواقع، هي ليست كما اعتقدت.

تمتم كاين: «لا أوافقك الرأي».

ثم تحرك كي يمسك بها. حملها كأنها ريشة خفيفة، وسار بها باتجاه اليخت اللّماع.

www.rewity.com

٢ - وجدتُها... ولكن!

- لا داعي لأن تحملني!

خرجت من شانون هذه الكلمات حين تقدم كاين من الدرج الخشبي نحو مؤخرة اليخت، ووضعها إلى جانب أبواب القمرة الزجاجية. أضافت: «أنا قادرة تماماً على الاعتناء بنفسي».

- هل أنت كذلك حقاً؟

ما إن ضغط على زر حتى فتح الباب، كاشفاً عن مظهر الفخامة في الداخل: مقاعد جلدية تشكل تناقضاً واضحاً مع خشب القيقب. أما السجاد الناعم فينسجم مع السقف المزّين بالجلد.

- أولاً...

بدأ كاين يتكلم، وهو يواكبها إلى أسفل الدرج. ثم أكمل: «... أنتِ مرتبكة. ثانياً، تبدين على وشك الانهيار، فوجهك شاحب اللون وثمة هالات سوداء تحت عينيك. علاوة على ذلك، أنتِ نحيلة جداً. في الواقع، تبدين مريضة تماماً!».

- شكراً.

أرشدها كاين إلى درج آخر مغطى بالسجّاد، يؤدي إلى حجرة طعام اليخت المجهّزة تجهيزاً كاملاً. في المدينة، كانت صفارات الإنذار تدوّي منطلقة من سيارات الشرطة التي أسرعت لتسيطر على الفوضى.

قال لها كاين بلطف: «اجلسي!».

بقدر ما شعرت شانون بالاستياء من تلقي الأوامر منه، شعرت بالامتنان في تلك اللحظة لأنها غرقت في الأريكة.

كرّر كاين وهو يضع حقيبتها على الطاولة: «أنا جدي في ما أقوله

شانون. تبدين مريضة».

أضاف: «ماذا كنتِ تفعلين في الماضي، منذ سنتين... سنتين ونصف؟».

لمعت عيناه بالاستهجان، فيما أضاف: «تعيشين حياة عابثة، كالعادة. أليس كذلك؟».

راقبت كاين وهو يستدير حول طاولة المطبخ المصنوعة من الرخام. إنه مطبخ مجهز بشكل جيد جداً. راح يفتش عن شيء ما في الخزانة قبل أن يتوجه إلى الحنفية اللمّاعة المطلية بالكروم فوق المغسلة.

أجابته شانون متحدية وممازحة في الوقت نفسه: «إذا كنت تعلم، فلماذا تسأل؟».

نظرة تلقائية واحدة منها نحو تينك الكتفين العريضتين جعلت نبضها يتسارع، ما جعل الألم يتضاعف في صدغيها، فيما أخذ كاين يخطو باتجاهها.

قال من دون أن يجيبها: «دعينا نلقي نظرة على تلك الإصابة».

بارتباك، التقط كاين ذقن شانون. بدت لمسته لطيفة فيما تفحص جبينها.

- ليس هناك جرح، لكنني لا أظن أنك ستنجين من ظهور آثار الكدمة.

برشاقة، وضع ضمادة باردة على جبينها.

- هل يؤلمك هذا؟

- لا.

كذبت شانون عليه، لأنها لم ترغب بأن يظنها ضعيفة. كما أن هذا ليس السبب الوحيد، فقربها منه بالإضافة إلى الحميمية المزعجة للمسته ضاعفت حدّة نبضها، حتى تساءلت ما إذا كان بإمكانه أن يسمعه.

- هل تملك هذا اليخت؟

سألته بحزم، وهي تحاول ألا تدعه يدرك أن دفء لمسته ورائحة عطره الناعمة أثرا فيها، فيما أخذ يغسل الجرح برفق. إذا كان يملكه،

فلابد أنه تقدّم شوطاً كبيراً، منذ أن ترك شركة بوفيير.

- هل سأبدو أرفع شأناً بالنسبة لكِ إذا قلتُ إنني كذلك؟

تسللت الحرارة إلى أعماقها، وشعرت بحنجرتها تقفل تماماً. ذكرت شانون نفسها بأسى أن كاين لا يكن لها أي احترام، وأنه يدينها بلا رحمة.

- لن تغويني كاين، حتى لو ملكت عشرين يختاً.

استدارت شانون متظاهرة باللطافة، مظهرة ابتسامة خبأت في طياتها الألم الناتج عن توق دفين عميق. أضافت: «على أي حال، أليس لديك زوجة تقبع في إحدى هذه الغرف؟».

أشارت إلى الدرج الذي استطاعت رؤيته، والذي بدا من الواضح أنه يؤدي إلى غرف نوم، بينما أخذت تفكر ملياً لتتذكر إذا ما كانت قد سمعت شيئاً عن حياته الخاصة من قبل.

أجاب كاين بإيجاز: «ليس لدي زوجة».

شعرت شانون ببعض الارتياح. أصرت محاولة أن تبعد عنها ذاك الشعور: «لِم لا؟ إنك تكبر في السن، كما تعلم».

كم تراه يبلغ من العمر الآن؟ سألت شانون نفسها. ثلاث وثلاثون؟ أربع وثلاثون؟

- لا تتحركي!

أمرها كاين بذلك من دون أن يشعر بالغضب، الأمر الذي جعل شانون تحسّ بأنها تصرفت تصرفاً صبيانياً بتفوهها بتلك الجملة. لطالما اعتقدت أن نضجه هو أحد الأشياء التي تشدها إليه، وقد ازدادت تلك الحنكة مع السنين. ابتلعت ريقها كي تخفف من الجفاف الذي تشعر به في حنجرتها.

آه! يا إلهي! فكرت شانون أنها سوف تسيطر على ردود أفعالها أكثر إذا لم تنظر إليه، فأغمضت عينيها. سرعان ما أدركت أنها باتت تشعر برائحته، وتشمّها بإحساس أقوى.

- امسكي هذه!

فيما ترك الضمادة الباردة لتمسكها بيدها، وابتعد عنها.

شعر كاين بالارتياح لأنه تمكن من إلهاء نفسه بالفناجين والصحون وتعبئة الإبريق. لمس شانون بوفيير ليس شيئاً يستطيع هو أو أي رجل آخر أن يقوم به من دون أن يتأثر. في الواقع، أثرت فيه شانون بتلك الطريقة العميقة المحضة التي لطالما أحسّ بها. هذا ما اعترف به لنفسه، إلا أنه وبخ نفسه بصمت بفعل الاضطراب الذي سببته له. سوف يُسر حين تنتهي المظاهرة، ويصطحبها إلى المنزل. قال كاين ذلك لنفسه وهو يغلق باب الخزانة. تساءل، فيما كان يضع ملعقة من الشاي في إبريق صغير، عن سبب شعوره بالتردد لرؤيتها تغادر. مع أن شانون لا تبدو بحال جيدة، إلا أن هشاشتها تنضح بتلك الجاذبية الأخاذة، التي أثارت فيه أحاسيس، عرف كاين أنها ليست مجرد إحساس عادي لدى الرجل القوي لحماية المرأة الأضعف، بل هي نابعة من شعور أقل شهامة... من رغبة بدائية تدفعه ليجعل هذه الفتاة الصارخة الجمال فتاته. أدرك كاين أنها باتت أكثر خبرة في الحياة بالطبع، فتلك النظرة البريئة التي امتلكتها يوماً ولّت مع الحدّة الكامنة في جاذبيتها التامة النضج. لكن، شانون لا تزال بحالة سيئة، وهو يشعر بالقلق حيالها لكونها في بلد غريب وحدها. هذا إن كانت وحدها...

اللعنة! لِم يشغل نفسه بهذا الموضوع؟ سأل كاين نفسه وهو يصر على أسنانه، فيما أطفأ زر الإبريق الكهربائي، وسكب المياه المغلية على أوراق الشاي.

- هل يوجد مرحاض هنا؟

- نعم. إنه...

بدت كلماتها موسومة بالتعب، أو بشيء آخر. هذا ما فكر به كاين وهو يشعر بخوف مقزّز يتشبّث به فجأة. تلك الطريقة التي تنظر بها نحوه، وتلك الملامح الكالحة... لِم لم يفكر بذلك الاحتمال؟

- آه، لا! أنتِ لست بخير.

ثبّت كاين يده على حقيبة شانون البالية المصنوعة من قماش الكانفا،

فتشبثت بها فجأة، حالما أحست بنيته. غرز أصابعه في عظام رسغيها الرقيقة، وأدارهما إلى الجانب الآخر، وأخذ يتفحص ذراعيها بنظرة متمعنة ومنتقدة.

- إلامَ تنظر؟

لمع في عيني شانون غضب صارخ بفعل الصدمة، قبل أن تبتعد عنه بجهد. أضافت: «أتبحث عن دلائل تشير إلى... الإدمان؟».

من دون تردد، راح كاين يخرج محتويات الحقيبة ويضعها على سطح الطاولة.

بالرغم من شعورها بالذعر، تحدته شانون قائلة: «ماذا تظن نفسك فاعلاً، بحق السماء؟».

شعر كاين بكبريائها المنكسرة تستعر، فيما عبثت يده بأغراضها. كره نفسه، لكنه شعر أنه مجبر على القيام بذلك... أحمر الشفاه، ومشط، وأوراق شتى، وزجاجة دواء. حملها كاين ليقرأ ما كتب عليها. بسرعة فظيعة، انتشلت شانون الزجاجة من يده.

- مشكلة معوية. أهذا يريحك؟ لهذا السبب أنا هنا ولست في البيرو.

ضاقت عينا كاين بتساؤل. بالطبع جالت هذه الفتاة على العديد من الأماكن! كرر ما سمعه: «البيرو؟».

هزّت شانون كتفيها، وأجابت: «سواء كنت في ريو دي جينيرو أو البيرو، ما همك أنت؟».

في الواقع ذلك ليس صحيحاً على الإطلاق، إلا أنه لم يستطع أن يقرّ لها بهذا.

- حسناً! كنتُ مخطئاً.

أخذ كاين يُرجع الأغراض إلى حقيبتها مجدداً، لكنها انتشلت الحقيبة منه.

لوّن الغضب خدّي شانون، فيما بدأت تعيد أغراضها إلى الحقيبة. قالت: «لا آبه لرأيك بي أو لرأي الآخرين... أنا لا أكترث البتة! لكنني

وضعت حداً فاصلاً ما بيني وبين الإدمان وأزواج النساء الأخريات، وكل ما يفقدني السيطرة، فأنا أقدر نفسي كثيراً!».

بدا كأن ذلك تلميحاً لكاين ليدقق النظر إليها أكثر. انزلقت نظراته على جسدها النحيل، لتستريحا بوعي كامل على خصرها الناعم. اللعنة! إنه يفكر كشاب مغرم... كبح لجام أفكاره، وهو يحمل الأغراض التي لا تزال على الطاولة، ويناولها إياها.

نصحها قائلاً: «أظن أنك بحاجة إلى الاستلقاء قليلاً».

قال هذا، وهو يرشدها إلى الأسفل نحو مضجع اليخت الفخم. قادها إلى الحجرة الأمامية ذات الأثاث المطلي والسرير ذي الحجم الملكي. أشار إلى الباب الزجاجي الذي يؤدي إلى غرفة النوم. ثم أضاف: «حين تغتسلين وترتاحين، سوف أحضر لكِ الشاي».

- شكراً!

بدت شانون بنظره امرأة متشردة بسروالها الفضفاض البالي وقميصها الحمراء بمقاسها الصغير والشعار السخيف المطبوع عليها. إنها لا تشبه مطلقاً وريثة ملايين الجنيهات، التي لا تملك أي فكرة عن المتاعب التي تسببها، ومن الواضح أنها لا تهتم لأسلوب الحياة التي تؤمنها لها. هذا ما ذكر كاين نفسه به، فيما بدا فكاه مشدودين.

- قلت إنك لا تتورطين...

ركزّت شانون على سؤاله، مرتعبة: «ماذا تعني؟».

من الواضح أنها اعتقدت أنه رحل.

أجاب بنعومة: «في التعاطي مع أزواج النساء الأخريات».

نظرت شانون إليه متسائلة، وقد غطى وجهها اللطيف شعور سلبي، ما جعله يندم على الفور على طرحه الموضوع. تساءل كاين لِم فعل ذلك؟ أليحمي نفسه؟ شانون مجرد فتاة، بحق السماء! فأي حماية يحتاجها؟

هزّت شانون كتفيها بعدم اكتراث، وأجابت: «نعم».

ثم أضافت:

- حسناً! أنت تعرف المثل القائل «المؤمن لايلدغ من الجحر مرتين.

لم يستطع كاين أن يلجم العبارة الساخرة التي خرجت من بين شفتيه: «ألهذا السبب سألتني إذا كنت متزوجاً، شانون؟».

فيما كان باب الحجرة يقفل خلف كاين، شعرت شانون برغبة في رمي حجر عليه. نعم! لقد ارتكبت خطأ. أخطأت في الحكم على الناس، لكن لِم يصر كاين على تذكيرها بالموضوع؟ لِم يصر على معاملتها بازدراء، متمسكاً بتلك السمعة السيئة التي اتخذتها الجرائد ذريعة، لتملأ صفحاتها بأخبارها... تلك السمعة السيئة التي حصدتها من دون علمها، والتي بسببها غادرت إنكلترا؟ إلاّ أن رأي كاين القاسي بها، سبب لها الأذى أكثر مما فعلت تلك الجرائد، وهو ما زال يؤذيها، كما أدركت عاجزة، وهي تُسقِط حقيبتها البالية على غطاء السرير، قبل أن تدخل إلى المرحاض التابع لغرفة النوم.

ما إن رأت شانون مرشة المياه، بالإضافة إلى الطاولات الرخامية، حتى لوت شفتيها بإعجاب. مضى وقت طويل جداً على تمتّعها بفخامة كهذه، فقد تخلّت عنها حين قررت أن تراهن على حريتها، وتهرب من الثرثرة وأقوال الجرائد، ومن دكتاتورية أبيها وتسلطه، فتستقل وتعتمد على ذاتها. فتحت الحنفية ورشت المياه على وجهها، وفيما راحت تراقب المياه تدور وتختفي في قعر المغسلة تمنت لو أنها تستطيع أن تتخلص بسهولة من ذكرياتها الماضية، كما تتخلص من تلك المياه.

كانت شانون في التاسعة من عمرها حين توفيت والدتها في حادثة سقوط عن ظهر الحصان. بعدئذٍ، لم يعرف رانولف بوفيير مطلقاً كيف يتعامل مع ابنته السريعة النمو والمغامرة إلى أبعد الحدود. صارت حياتها عبارة عن تنقل دائم بين المدارس الداخلية الباهظة الكلفة، بالإضافة إلى الرحلات إلى الخارج خلال العطل مع أي عضو من فريق عمل أبيها يستطيع أن يرافقها. أما ما كانت تحتاج إليه بالفعل فهو عطف أبيها وحبه، إلا أنه كان منشغلاً على الدوام، ولا وقت لديه ليمضيه معها. بدلاً من ذلك دلّلها إلى أبعد حدّ، بدءاً من السيارات السريعة،

والمجوهرات، والثياب، وصولاً إلى العطل والرحلات المترفة. وفر لها هذا كله، لكن لسوء الحظ، لم يكن ذلك كافياً. لطالما شعرت شانون أنها مستعدة للتخلي عن جميع الزخارف مقابل علاقة ودية ومنسجمة مع أبيها، ومقابل الحصول على فرصة للتكلم معه عن أحلامها وعما يجول في خلدها، ومقابل أن تؤخذ آراؤها بجدية، إلا أن رانولف بوفيير لم يكن من ذلك النوع من الرجال الذين يصغون إلى أي شخص آخر. ربما كان رفضه لتقبّل أن تقوم بشيء أكثر قيمة في حياتها من أن تساند زوجاً ملائماً، كما فعلت أمها، هو السبب الرئيسي الذي دعاها إلى أن تصبح متمرّدة هوجاء دائمة السهر في الحفلات الليلية، ما ألبسها تلك السمعة السيئة. في ذلك الوقت، بدا ذلك وسيلة فعالة لتعوض عن حاجتها للحب وللرعاية اللذين فقدتهما من حياتها، لا سيما الحاجة لأن تكون محط الانتباه. إلا أن ذلك التعويض بدا سطحياً، ولم يدم طويلاً، تماماً كأي علاقة حاولت أن تنشئها مع أي من الرجال الذين لاحقوها. وكلما كانت خيبة أملها تنمو، كان رفض أبيها يزداد. لم يحب والدها تصرفاتها، وعدم قدرتها على البقاء مع شخص واحد، بالإضافة إلى السمعة غير الملائمة التي اكتسبتها. لكنها لم تستطع أن تسيطر على ذاك الأمر، فكل رجل التقته لم يكن همه سوى مالها وجسدها أو الاثنين معاً... كل الرجال ما عدا كاين فالكونر.

ورجعت أدراجها إلى غرفة النوم. بدا كأن السرير الواسع بوسائده المكتنزة يدعوها إليه، أما ستائر الكوة فمغلقة في وجه أشعة الشمس الإسبانية الحارقة. ربما تفعل ما اقترحه عليها كاين، فتستلقي قليلاً. بدا لها أن الاضطرابات القائمة في البلدة سوف تستغرق بعض الوقت، وأن من غير المجدي أن تفكر حتى بالرجوع إلى الديار قبل زوال الخطر.

استرخت شانون على السرير الفخم، وحاولت ألا تفكر بمكان نوم كاين على اليخت. لكنها لم تستطع أن تمنعه من التطفل على أفكارها والتشويش عليها، مثلما كان يفعل منذ كانت في السابعة عشرة من عمرها. تأثرت بطريقة خطيرة بهذا الرجل منذ اللحظة الأولى التي وقعت

www.rewity.com

عيناها عليه فيها، منذ ذلك اليوم الذي قصدت فيه مبنى شركة بوفيير، ورأته جالساً في مكتب أبيها خلف الطاولة.

أبقى نظرته منخفضة للحظة واحدة، إلا أن لحظة واحدة فقط بدت كافية ولتدع جاذبيته الساحرة تنطبع في وعيها إلى الأبد.

لاحظت شانون شعره الداكن الأنيق، وعرض كتفيه، وأخذت تتململ، فقد أحست بالاضطراب لأنه لم يلاحظ وجودها، في حين أن الكل يفعل. كانت ترتدي بذلة حريرية داكنة في ذلك اليوم، أما شعرها فمرفوع إلى الأعلى، وهي لا تزال تذكر الطريقة المحببة التي كانت فيها سترتها القصيرة وسروالها يتحركان على جسدها.

بعدئذٍ نظر كاين إلى الأعلى، وكأن شيئاً ما أوحى له فجأة أنها هناك، بالرغم من أنها عرفت أن الحقيقة مغايرة لذلك تماماً. حتى مع طول قامتها بفضل الكعبين العاليين، شعرت شانون بكسوف من جراء طول قامته المسيطرة حالما وقف على رجليه.

- كاين فالكونر.

بدا صوته عميقاً وجذاباً، وفيما اقترب منها، أخذ اضطرابها يذوب تحت سحر ابتسامته. أضاف: «الرئيس الجديد لمجلس الإدارة».

مجلس الادارة! هذا ما أعطاه المركز الأعلى. الأصابع التي تشبثت بأصابعها بدت دافئة وقوية. نسيت شانون كلياً آداب التصرف، فلم تعرّف عن نفسها. في المقابل، سمعت نفسها تقول بطريقة لا تليق بها: «أين... أين أبي؟».

- أبوك؟

شع الوضوح من عينين ذكرتاها ببحيرة زرقاء باردة في الأعالي، تحت رموش طويلة داكنة السواد. أردف قائلاً وهو يلوي زاويتي شفتيه: «إذاً أنتِ الثرية المستهترة».

كان ذلك هو الاسم الذي أصرّت إحدى الصحف على نعتها به. لو كانت شانون أكبر سناً، لربما أضحكها ذلك. هذا ما اعتقدته في سرها. تظاهرت باللامبالاة، ثم غمغمت: «إذا كنتَ تود قول ذلك».

ألم تهزأ هي نفسها بنفسها حين ارتدت اللون الأحمر إلى الحفلة الراقصة، في حين ارتدت كل النساء الأخريات اللون الأبيض؟

حين جالت عيناه غير الوديتين على طول عنقها الناعم لتصلا إلى حافة سترتها القصيرة، أحسّت شانون بأنوثتها، وأدركت أنها وجدت شريكها، بل توأم روحها. سألها: «ألا يزعجكِ ويؤلمك كل ما يكتب عنك؟».

بالطبع يزعجها، لكن إذا ما عرف أحدهم ذلك، فسوف يمزقها إلى أشلاء. هذا ما فكرت به بمرارة. هزّت كتفها قليلاً، وأجابت: «ما الذي يكتب عني؟ بأنني أتواجد في كل حفلة، وأنني أبدل عشاقي بقدر ما أبدل ثيابي الداخلية؟».

لم تصدق شانون أنها تستطيع التلفظ بتلك العبارات المحطة من قدرها، ليس لأنها عارية عن الصحة فقط، بل لأنها لم تلتق في حياتها رجلاً شعرت بالرغبة في التأثير عليه. شعرت بالانكماش، فيما هزت كتفيها مجدداً، ثم قالت: «لِم قد يزعجني أو يؤلمني؟».

- لكنه يؤلم أباكِ.

استدار كاين فجأة، متفحّصاً شانون بعينين ضيقتين حادتي النظرات، جعلتاها تدرك بارتعاب شيئاً مختلفاً عن الغضب، شيئاً أساسياً ووحشياً. أضاف: «لكن، لربما هذا ما ترغبين به».

حتى وهي تشعر بالاضطراب من جراء صدمة الانجذاب المتبادل بينهما، شعرت بلذعة تعليق كسوط يضرب وجهها. من يظن هذا الرجل نفسه؟ وبأي حق يتكلم معها بهذه الطريقة.

- لا أعرف من أنت أو ما تفعله هنا، يا سيد فالكونر، لكنني أظن أن حياتي الخاصة أو حياة أي فرد من هذه العائلة لا تخصك! هذا إلا إذا كنت تظن أن واجباتك هنا تتضمن محاولتك أن تجذبني من يدي وتعيدني إلى الصراط المستقيم. في هذه الحالة، فإنني أقول لك إنك تضيّع وقتك سدى!.

كان كاين يحرك بعض الأوراق على الطاولة بيديه الطويلتين الأنيقتين. رفع بصره نحوها، وهو يبدو غير منزعج إطلاقاً.

- ليس لدي النية بأن أجذبك إلى أي مكان، شانون.

بالرغم من كل شيء، فإن لفظ اسمها بتلك النبرة العميقة جعل شعر عنقها يقف متأثراً. أضاف: «ولن أحاول أن أفعل حتى، فأنا لا أود أن أرى اسمي في الصحف المبتذلة».

خرجت شانون من المكتب في ذاك النهار ورأسها مرفوع، والدموع على وشك أن تنهمر من عينيها، ناسية تماماً سبب ذهابها إلى ذاك المكان في بادئ الأمر.

منذ ذلك الحين، حاولت تجنبه، لكن بدا هذا مستحيلاً. بما أن رانولف بوفيير أحب كاين كثيراً منذ البداية، فغالباً ما كان يدعوه لتناول العشاء في المنزل. وأحياناً كانت شانون تجد نفسها مجبرة على التكلم معه حين يتصل هاتفياً بوالدها، فكان صوته العميق يحرق أعصابها. أما هو، فكان غافلاً تماماً عن تأثيره هذا ثم إنه بالطبع كان يتواجد في كل حفلة رسمية تخص الشركة، فرانولف كان يصر عليه أن يحضر. في إحدى المرات طلب منها كاين أن تراقصه، وذلك خلال عشاء الشركة الأخير. استجمعت شانون شجاعتها لتسأله: «كم عمرك؟».

أجاب: «كبير جداً عليك».

كانت شانون قد ناهزت التاسعة عشر من عمرها، وبدت واثقة من مظهرها ومن جاذبيتها التي لم تتمكن من إخفائها، فضحكت عالياً، مستخدمة كل عناصر أنوثتها، ثم أجابت بلطف: «ما الذي يجعلك تظن أن هذا السؤال البسيط يوحي بأنني أود التقرب منك؟».

فاجأته جسارتها، لكنه أجاب بابتسامة ساحرة وعينين ساخرتين خاليتين من العاطفة: «لأنني على الأرجح الرجل الوحيد في لندن الذي لم يظهر أي ميل للتقرب منك».

بالرغم من أنها ضحكت، إلا أن ملاحظته تلك أشعرتها بالإحباط، وأكدت لها أنها تضيع وقتها إذا ما أملت أن يعجب بها كاين فالكونر يوماً. يتمتع الرجل بخبرة عالية، ومهارة كبيرة بحيث لا تستيطع أن تتحاذق عليه، أو تتجادل معه، أو حتى تحاول أن تستعين بسحرها

وجاذبيتها للتقرب منه. بالإضافة إلى ذلك فإنها بصحبته تعاني من شعور قوي ومحبط بالذل، لا ينفك يتكرّر.

حين بدأت شانون تواعد جايسون ماركام، وطلب منها هذا الأخير أن تمضي فصل الصيف معه في كوخه، الذي يقع بجانب بحيرة صغيرة في سكوتلاندة، لم يكن من شانون إلا أن اقتنصت الفرصة لتهرب، ليس من سيطرة أبيها المتزايدة فحسب، بل من مشاعرها العاجزة تجاه كاين. قرّرت أنها مجرد مشاعر بدائية وصبيانية ناهيك عن أنها عنيفة وموجعة. من ناحية أخرى، وفرت لها علاقتها بجايسون شعوراً أقل إيلاماً، بالإضافة إلى الصداقة بينهما، التي كانت تفتقدها في ذلك الوقت. غالبية النساء اللواتي حاولت أن تكسب صداقتهن منذ أن تفتحت عيناها على عالم الأنوثة، كن ينظرن إليها كمنافسة لهن، أما الرجال فكانوا يعتبرونها وسيلة لتعزيز أناهم الذاتية. على خلاف جايسون الذي بدا أنه يهتم لشخصيتها. كان يستمع إلى أفكارها، ويشاركها أحلامها. وبالرغم من أن تلك العلاقة بدت أقل شغفاً مما أمل جايسون، لكنه لم يسرّع الأمور، فقد كان رجلاً صبوراً راضياً بالانتظار. برفقته كانت شانون تشعر بالرضى والارتياح، مثلما يجب على المرء أن يشعر مع شخص يفكر في مشاركته الحياة، لكنها لم تكن مجنونة بحبه. لم يشبه شعورها نحوه أو يقارب حتى ذلك الشعور الذي تمتلكه تجاه كاين.

حسناً! أليس ذلك أفضل؟ ما شعرت به تجاه جايسون كان حقيقياً وليس خيالياً. إنه تام وطويل الأمد، هذا لأن جايسون ماركام، وهو سائق سيارة سباق يبشر بمستقبل واعد وابن وزير شهير، كان رجلاً حقيقياً، وهو دائم التواجد من أجلها. هذا ما اعتقدته شانون، إلى أن تصدّرت محاولة زوجته الانتحار عناوين الصحف، وحظيت صحف الأخبار المبتذلة بما تريده، وتمادت في الانتقاد وهي تصور شانون كالمرأة المغوية، فيما صورت ماركام على أنه الضحية.

شعرت شانون كأنها فقدت الإحساس من جراء عدم تصديقها الخبر، ومن جراء كذب جايسون عليها. عادت أدراجها إلى لندن لتواجَه بوابل

من الأسئلة التي رفضت الإجابة عنها، وبقدر مضاعف من غضب أبيها حين اكتشفت أن كاين فالكونر تشاجر معه في الأسبوع نفسه، ورحل عن الشركة. عرفت شانون أن المنافسة أثارت قلق كاين أكثر من مرة، وأنه وجد رانولف شخصاً يصعب التعامل معه لاسيما في العمل. لكن بعد الألم الذي أصابها بفعل خيانة الرجل الذي أقنعت نفسها أنه حب حياتها، والذي وضعت به ثقتها كاملة، أغضبها رحيل كاين حتى الصميم.

خلال ذلك الأسبوع، وفيما كانت محبطة ومتألمة ووحيدة في المنزل، حضر كاين كي يأخذ بعض المستندات الشخصية. تحولت الفضيحة التي تعاني شانون من ذيولها إلى غضب حانق عليها لم يقتصر على السخرية المعتادة التي عرفتها منه، بعد أن رجمته بخطاب طويل محمل بالغضب بشأن سوء تصرفاته.

- كيف تجرؤين على انتقاد تصرفاتي؟

بدت عينا كاين مستعرتين بالحقد حين أضاف: «أنت الغنية التي لا تمانع في فعل أي شيء بغية الحصول على اللهو! أستطيع أن أفكر بعبارات أسوأ، شانون، لكنني سأحتفظ بها».

لم تدرك شانون في حينه أن كاين صديق لعائلة جينيفر ماركام، وأن هذا هو السبب الذي جعله غاضباً جداً. أردف قائلاً: «ما أتمناه هو أن تجدي ما تبحثين عنه... لمصلحتك، بالإضافة إلى مصلحة الجميع».

قال كاين هذا فيما خرج من الباب.

آلمها سماع رأي كاين ومغادرته. شعرت بالسخط من جراء عدم وقوف هذا الرجل بجانبها، فردّت عليه بعنف قائلة: «ناديتني الثرية المستهترة في المرة الأولى التي رأيتني فيها. حسناً! إذا كنت أنا كذلك فأنت هو الخائن!».

اندفع من فم شانون هذا الكلام بدافع غضبها المستعر المؤلم، وحسدها لأنه قادر على المغادرة ساعة يشاء، أما في سرها فهي تقدّره لأنه قاوم أباها.

بعدئذٍ رحل كاين مغلقاً الباب بعنف خلفه، ولم تره حتى هذا اليوم. سمعت في ما بعد أنه لم ينضم إلى شركة أخرى فوراً. فكرت شانون أن رانولف سوف يحاول جاهداً أن يغيظه، وأنه سيندم طوال عمره على تركه يرحل من شركة بوفيير بتلك الطريقة. بحسب ما كونت من معلومات عن هذا اليخت من الواضح أن كاين حصل على مركز هام آخر، واستخدم مهاراته وتبصره كي توصله إلى المراكز العليا في شركة أخرى، ومن الواضح أنه حظي بمستوى مرموق لنفسه. تثاءبت شانون فاتحة فاها، فحركة اليخت اللطيفة بين فترة وأخرى أشعرتها بالارتياح، الأمر الذي جعل جفنيها متثاقلين...

* * *

كانت شمس المغيب تشع بخيوطها الذهبية على طول مياه البحر، وفيما كان كاين يقف عند مؤخرة اليخت، تنفس ملء رئتيه من ذلك الهواء البارد المسيطر على الجو.

استطاع كاين أن يسمع هدير المحركات، وأن يلاحظ الأضواء الصادرة من الحانات الليلية ومن المقاهي حول حوض رسو السفن. وجد نفسه يعود بأفكاره إلى ذلك النهار، منذ سنة تقريباً، حين أجاب عن تلك المكالمة المزعجة التي تلقاها من السيد رانولف بوفيير. حينئذٍ، وجده شديد الاضطراب وعلى شفير الهاوية. فكر أن ذلك كله من صنع يديه. عرف كاين هذا، لكنه لم يستطع أن يشهر ذلك في وجه الرجل، فرانولف يحتاج إلى مساعدته ونصائحه، وشعر كاين بالقلق بشأنه وبشأن الشركة التي عمل فيها، فلم يتمكن من رفض مد يد المساعدة له. فكر أن الرجل يقتل نفسه لا محالة. نصحه الأطباء أن يهدئ من روعه، ويخفف من فظاعة المشكلة، لكن كاين بدا متأكداً أن مشاكل الشركة لم تكن هي السبب الوحيد لإحباط رانولف، بل تنافره مع شانون هو السبب الرئيسي. بين نسمات المساء، استطاع سماع كلمات رانولف، فيما وقفا سوياً في فناء منزل بوفيير: «جد لي ابنتي! بالله عليك، جد ابنتي! جدها و...».

شعر كاين بالتأثر، وتناسى بقية حديثهما، لكن توسل رب عمله

السابق ما زال يقطع قلبه. صحيح أن الرجل ظالم ومحب للسيطرة، لكنه في الحقيقة، أراد أن يسترجع ابنته بالفعل. تنفس كاين مجدداً بعمق وعدم صبر. صحيح أنه قام ببعض المحاولات كي يجدها لأسباب خاصة به، إلا أن العام المنصرم كان مليئاً بالصعوبات، ولم يحظ بالكثير من الوقت، وحين وجد الوقت، لم يُوفق في بحثه، إلى أن أتى هذا اليوم...

والآن وجدها، وبدأ يتمنى لو أنه لم يفعل. لم تبدُ شانون بحالة جيدة، وشعر بالقلق الشديد حول ما تفعله بنفسها. ليته يستطيع أن يجعلها تفكر بالطريقة الصحيحة، فيقنعها بأن تعود إلى المنزل قبل أن تمرض حقاً، هذا ما أخذ كاين يفكر به، والقلق يتشبّث بفكيه من جراء عقم آماله. كيف يتوقع أن ينجح في إقناعها في غضون ساعتين؟ سأل نفسه، وهو يشتم جدول أعماله، وقد ضاق ذرعاً بالالتزامات لأول مرة في حياته، لأنها لم تترك له الكثير من الوقت. فوق حوض السفن وقع نظره على تمثال كولومبوس الضخم. لاحظ للمرة الأولى أن الرجل العظيم كان يشير، ليس إلى الجهة الغربية - باتجاه الأميركيتين اللتين اكتشفهما - بل إلى الجهة الشرقية، باتجاه الرقعة الفسيحة المتلألئة للبحر الأبيض المتوسط. أما كاين نفسه، فانبثقت في رأسه فكرة راحت تتفتح وتنمو أكثر فأكثر.

سوف تكرهك على هذا فالكونرا حذّر نفسه، فيما أخذ يعبر ظهر اليخت في تصميم مفاجئ.

٣ ـ تمرّد

ارتفع صوت هدير المروحية. راح الأطفال يضحكون ويلوّحون بأيديهم، وينادونها، فيما ظلت الشفرات تصدر صريرها وتقترب أكثر. استطاعت الآن أن تتعرف على وجوه الأطفال. توقف هؤلاء عن الضحك، وراحوا ينظرون إليها بحذر، حتى إن بعضهم راح يبكي، والبعض الآخر يصرخ، فيما اندفعت شانون بسرعة ورعب في الهواء الطلق. لم يعد الصوت صادراً عن المروحية، بل من مجموعة من الحشرات...

- لا!

انتفضت شانون بقلب نابض، فيما طوقت رأسها بيديها، وشهقت طلباً للهواء. هدأت من روعها قليلاً، وحاولت أن تُبطئ من سرعة تنفسها. غلبها النعاس وهي على سرير الحجرة في يخت كاين! هذا ما أدركته من خلال مسح سريع بنظرها على المفروشات الفخمة التي تملأ المكان، أما الصوت الذي سمعته فهو...

بسرعة، سوّت شانون جلستها على السرير الكبير الفخم. فكرت عابسة وهي تصغي بانتباه، أهو المحرك؟

أخذت تتلمس طريق الخُفين اللذين رمتهما منذ... الله أعلم منذ كم من الوقت. أدخلت أصابع رجليها فيهما، وهرعت كي تنظر من خلال الستائر. من خلال الكوّة البيضاوية الشكل، أبصرت منظر برشلونة، إلا أن تلك المدينة أخذت تتلاشى رويداً رويداً. هذا ما أدركته شانون مرتعبة.

من دون أن تضيع دقيقة واحدة، حثت خطاها عبر الحجرة من دون

www.rewity.com

توقف. بدت مترنحة كأن النوم قد أسكرها.

صعدت الدرج الشديد الانحدار نحو مكان التحكم، فرأته جالساً خلف الدفة، وهو يشق الطريق عبر مياه المحيط الواسع، بيدين قديرتين ملتفتين حول المقود.

بدّل كاين سترته، ولبس قميصاً سوداء وسروالاً من الجينز. بالرغم من كل شيء، لم تفت شانون ملاحظة عرض كتفيه ومدى القوة الرهيبة التي توحيان بها، فيما وصلت إلى ظهر المركب.

- إلى أين نحن ذاهبان؟

نظر كاين إليها متفاجئاً، بينما تقدّمت لتقف بجانبه. بدت ملامحها الباهتة متحدية، أما شعرها فراح يتطاير بلطف مع الهواء.

- أخيراً استيقظت...

قال كاين هذا، قبل أن يعيد انتباهه إلى مفاتيح التحول المتعددة وإلى الشاشات على لوحة التحكم، سألها: «كيف تشعرين؟».

كيف يجرؤ على هذا السؤال؟ نظرت شانون وقد نفد صبرها إلى رأسه المنحني. أجابت: «سألتك، إلى أين نحن ذاهبان؟».

بدا أن كاين يتحكم بشيء ما على اللوحة، فلم يرفع رأسه لينظر إليها حتى، بل قال: «ربما أنت تعبثين بوقتك هناك شانون، أما أنا، فلدي جدول أعمال علي أن أنهيه».

سألته شانون قلقة: «جد... أي جدول؟».

كانا يبحران بسرعة هائلة، وكل موجة قوية راحت تقودهما إلى مكان أبعد ثم أبعد في خضم المحيط الشاسع. سألته مجدداً: «إلى أين تأخذني، بحق السماء؟».

كان كاين يدير اليخت بمهارة خبير، هذا ما أدركته شانون فيما انتظرت جوابه. أجابها بلا مبالاة: «عليّ أن أسلّم هذا اليخت إلى كان قبل نهاية هذا الأسبوع، وقد خسرت الكثير من الوقت حتى الآن».

بعدئذٍ أردف: «ستبقين معي حتى وقت التسليم».

كرّرت شانون، مرتعبة: «كان... كان!».

لم تصدّق ما قاله. لابد أنه يمزح. أضافت: «أي فرنسا؟».

تحرك فك كاين في تقدير ساخر، ثم قال: «أعطيك عشرة على عشرة في الجغرافيا، شانون. من الجيد معرفة أنك تعلمت شيئاً مفيداً في تلك المدارس التي ارتدتها».

- يا لك من حقير متبجح!

بغضب شديد، نظرت شانون إلى خط الساحل الذي أخذ يتلاشى. أزعجها هدوء كاين، فقالت له: «استدر حالاً!».

لم يُعرها كاين انتباهاً، وبقي جالساً. أمرته قائلة: «قلتُ لكَ استدر حالاً!».

ردّ كاين عليها بهدوء: «أنا آسف، شانون. لا أستطيع ذلك. كما قلت لك، أنا متأخر على مواعيدي، كما أنني بحاجة إلى من يساعدني في قيادة المركب، أما أنت فقد اعترفت بنفسك أنك لا تفعلين شيئاً هناك».

- أنت تخطفني... ثم تتجرأ وتطلب مني أن أساعدك في قيادة المركب؟

أتى كلامها على شكل صراخ حاد.

- قلت إنك تبحثين عن المتعة.

- قلت...

هل قالت ذلك حقاً؟

- وأعرف أنك فعلتِ ذلك من أجل أبيك.

نعم، في الماضي. وقد رافقهما كاين على متن اليخت مرة أو اثنتين حسبما تتذكر شانون، مسترجعة في ذهنها مدى المرح وعدم اللباقة اللذين شعرت بهما أثناء صحبته. لكن كان الأمر يومها مختلفاً...

- إذاً، هل اختطفتني كي أفعل ذلك؟

فجأة، أصبح الخوف هو الشعور المسيطر على شانون. الخوف بالإضافة إلى الغضب العميق لتمكنه من خداعها لتركب اليخت. أردفت: «إذا لم تُدر هذا الشيء حالاً، فسوف أعود سباحة».

- لا تكوني سخيفة!

- راقبني فحسب!

بدأت شانون تتعثر بخطواتها مبتعدة عنه، غير واعية أن كاين يخفف من سرعته.

- لا تكوني غبية!

فيما نزلت شانون على الدرج، كان كاين أسرع منها. أطلقت صرخة بسيطة حين التفت ذراعه حول خصرها كدائرة حديدية.

- دعني وشأني!

استدارت شانون نحوه وأخذت تضرب صدره القوي بقبضتيها. أضافت: «دعني وشأني، أيها الوحش!».

- بالله عليك، شانون... اهدئي! هل تعتقدين حقاً أنني اخترت أن أجلبكِ معي؟ فقدت حتى الآن وقتاً ثميناً بسبب اللقاء بك في هذه الأمسية، لكنك كنتِ تنعمين بنوم هادئ كالأطفال، فلم أشأ إزعاجك. كما أنك تعرّضت لضربة لا يستهان بها على رأسك، وحتى من دون ذلك، لم تبدي لي بحالة جيدة لأتركك هناك!».

شعرت شانون بالدوار الشديد وبالوهن، أما السبب فهو اقتراب كاين منها بهذا الشكل. أفلتت نفسها بعنف من قبضته، ثم أجابت: «آه! والآن، أنتَ تقوم بهذا لمصلحتي!».

- آمل أن يحصل هذا في النهاية.

نظرت شانون إليه شزراً، فيما رفعت رأسها لتحدق إليه بتحدٍّ، ثم سألته: «ما الذي يفترض أن يعنيه ذلك؟».

- يعني أنني أظن أنك سوف تصبحين بحال أفضل إذا ما حصلت على الرعاية المناسبة لبضعة أيام، وإذا استطعتُ أن أقنعكِ بأن تري ما الذي تفعلينه بنفسك، وماذا تفوّتين بعدم مواجهتك الوقائع وعودتك إلى المنزل، فسوف يكون ذلك جيداً.

حوّل الغضب لون عينيها إلى اللون الأزرق الياقوتي. سألته: «ماذا تعني بقولك: «أن أواجه الوقائع؟ أي وقائع؟».

- الشركة سوف تصير ملكك يوماً ما، شئتِ ذلك أم أبيتِ. والدك يكبر في السن.

بدأ القلق فجأة يأخذ مكان الغضب الذي يلسع خديها، ما جعل جبهتها الناعمة تتغضن. قالت: «قلت لي إنك لم تره».

- لا. لم أفعل.

ألم يفعل؟ لم تعد تتذكر ما قاله لها هناك في لاس رامبلاس.

- ماذا إذاً؟ هو بخير، أليس كذلك؟

بدا السؤال أشبه بهمسة قلقة.

- هل هذا قلق حقيقي، كما أفهم، شانون؟.

- ماذا تظن؟

رمته بسؤالها هذا مدركة السخرية في ذلك الوجه الصارم.

- ما أظنه هو أنه حان الوقت لتتوقفي عن علاقاتك الاجتماعية ومعاشرة أصدقائك الوهميين، وتبدأي بالتفكير أن أباك بحاجة إليكِ، بدلاً من معارضته والتمرد على كل ما يقوله بهدف المعارضة فقط!.

- بهدف المعارضة... فقط؟

اعترضت شانون بغضب: «ما المشكلة إذا كنت لا أوافقه بعض آرائه؟ حسبما أتذكر، أنت لم تكن دائماً مراعياً لرغبات أبي. في الواقع، وقفت ضدّه حين غادرت وتركته وحيداً في مرحلة حرجة!».

اتخذ فمه شكلاً متجهماً. وفكرت شانون فجأة أنه ربما لا يحب أن يتذكر مدى المرارة التي واجها بعضهما فيها في المرة الأخيرة التي اتصل فيها إلى المنزل.

- إذا كان ثمة شخص قد تركه في حالة حرجة، فهو ابنته الغالية العزيزة والعاصية! لا سيما بعد أن مرغت اسم بوفيير في الوحل!

- هذا ليس صحيحاً!

دافعت شانون عن نفسها، وهي تسترجع الذكريات. لقد تعرّضت للانتقاد الشديد الظالم على يد الصحافة. جعلوها كبش المحرقة، وصارت ضحية من قبل أشخاص يتمتعون بقوة أكبر من قوتها، بحيث

حرصوا على عدم تفويت أي شاردة أو واردة من حياتها. لكن وجود أب لا يتفهمها وعدم اهتمامه حتى ليلاحظ ما الذي يجري لطفلته الوحيدة، بدا أسوأ من أي شيء آخر. أضافت: «غادرت المنزل لأنه رفض أن يعترف بأن لي آراء وأفكاراً خاصة، مثلما فعلتَ أنتَ بالضبط، وللسبب نفسه».

غمغم كاين بإيجاز: «لكن ثمة فارقاً واحداً».

- آه!

- أنا لست ابنه.

استدارت شانون إلى الجهة الأخرى، بذراعين ملفوفتين حولها لتحمياها، وهي تحدق من دون أن ترى إلى تلك البنايات الصغيرة الحجم المنتشرة على الشاطئ الإسباني، وقد بدت من تلك المسافة البعيدة أشكالاً معتمة.

من المستحيل أن تعود مجدداً إلى ذلك الاضطهاد وإلى تلك الدكتاتورية. لا تستطيع تحمّل الجميع وهم يرون فيها أسوأ الصفات، في حين أن جريمتها الوحيدة هي تعرضها للخداع على يد رجل ظنت أنه غير مرتبط بامرأة أخرى، وأنه يحبها. أما حقيقة أنه احتل مرتبة عالية في سباقين عالميين، وأنه ابن سياسي بارز، فقد جعلت العلاقة المفترضة تحتل أخبار الصفحة الأولى، حين قامت زوجته بتناول جرعة زائدة من الدواء خسرت على إثرها طفلها. بقيت شانون متحفظة حين أخذ أولئك الصحافيون يطاردونها، ففضلت أن توصف بالمرأة الفاسقة على أن تُنعت بالغبية. بعد ذلك، حاول رانولف بوفيير أن يقيد حريّتها عن طريق حرمانها من الاستقلالية، حتى خنقتها سلطته. أخيراً، وبعد مغادرة كاين الشركة بأسابيع قلائل، غادرت هي بدورها لندن نهائياً.

- هل طلب منكَ أبي أن تجدني...؟

ضاقت عينا شانون بفعل إحساسها بالشك، وأضافت: «... وأن تحاول إعادتي إلى المنزل؟».

حين تمنع كاين عن الإجابة، قالت: «إذاً، هذا كل ما في الأمر!».

لم يعد موقفها دفاعياً، بل صار هجومياً حين اتهمته، وهي متأكدة من الأمر: «عدت للعمل لديه، أليس كذلك؟».

توترت شفتاها في تمرد، حين لاحظت هزة كتفيه. أكملت: «هذا اليخت لأبي، أليس كذلك؟ هو ليس لك. وأنا التي ظننتُ أنك فعلت ما هو أفضل لمصلحتك!».

لم تستطع شانون أن تحبس الضحكة الساخرة البسيطة التي ارتجفت بين تلك الكلمات الأخيرة. تابعت السخرية منه: «اسم بوفيير لم يفقد جاذبيته بالنسبة إليك بالرغم من كل شيء... أم أن العرض الذي قدمه لك هذ المرة هو أكثر إغراء؟».

سمعته يحبس أنفاسه. بعدئذٍ قال كاين بسخرية: «تعتقدين أن الموضوع كله يتعلق بالمال ليس إلا. أليس كذلك؟».

أخذ يبتعد عنها، عائداً إلى ظهر المركب.

- أليس ذلك صحيحاً؟

تبعته شانون. بحسب خبرتها، فإن المال يحتل مكانة مهمة جداً على قائمة أولويات معظم الناس. لطالما لمسَت ذلك في الرجال الذين التقتهم، وفي كل الذين ادعوا صداقتها، وحاولوا التقرب منها. أردفت: «ما الذي قدّمه لك؟ مكافأة كبيرة إذا نجحتَ في إعادتي؟».

راقبته وهو يأخذ مكانه خلف المقود مجدداً، ويزيد من سرعة المركب. اقترحت عليه: «مهما كان ما يدفعه لك، سوف أضاعف لك المبلغ».

- هل تقتطعينه من مصروفك؟

بينما راح المركب يندفع إلى الأمام، نظر كاين إلى شانون بشك ملفت.

لعله اعتقد أنها لا تستطيع تحمل تكاليفه، فكرت بذلك، متسائلة عن مدى معرفته بأخبارها.

أكدت شانون له: «لدي من الأموال ما يكفي!».

كان عليها أن ترفع صوتها بسبب زيادة تدفق المياه، واندفاع الهواء

العنيف المنعش. هي لا تزال تحتفظ بالمجوهرات التي لا تريدها، وهناك اللوحات التي تركتها في إنكلترا. صحيح أنها ليست من إبداع مونيه أو كونستابل، لكنها بالطبع تساوي الكثير من المال، هذا بالاضافة إلى سيارتها البورش...

- هكذا إذاً.

انكمشت شانون حين رأت الطريقة التي راحت عيناه تجولان بها على خطوط جسدها الهيفاء بنظرة ماكرة، الأمر الذي سرّع نبضاتها، وألهب خديها من جراء إدراكها أنه أساء فهمها عن قصد.

ردّ كاين بصوت عال: «أنا سعيد لسماع ذلك».

ثم أضاف: «لصالحنا معاً. على أي حال، ليست لدي نية في أن أتورط في ملاطفة الفتيات البارزات في المجتمع، لذا فإنك بأمان تام، إذا كان هذا ما يقلقك».

وقبل أن تستطيع الرد عليه، سمعته يقول: «ما الذي جعلك تظنين أن أباك قدم لي شيئاً؟».

- لأنني أعرف أبي.

راقبته شانون وهو ينقر مفتاحاً كهربائياً برشاقة، فظهرت مجموعة من المعلومات على إحدى الشاشات.

ثم أردفت: «أعرف الآن، أنك، مثل أي شخص آخر، تبيع نفسك إذا ناسبك السعر».

قال كاين من دون أن ينظر إليها: «حسناً، شانون! يؤسفني أن أخبرك أن عودتك إلى هناك، سوف تكلفني أكثر من قدرتك».

ألقى بنظرة حادة على قميصها القطنية. ثم دندن بصرامة: «أنا آسف. عليك أن تتحملي رفقتي لبعض الوقت، بدلاً من رفقة أحد عشاقك».

- أنتَ...

بالكاد سُمعت الشتيمة التي تلفظت بها شانون. تابعت: «وأنا التي ظننت أنك مختلف عن الآخرين!».

للحظة واحدة، التقت عيناها بعينيه، فرأت فيهما تساؤلاً صامتاً،

وكأنها فاجأته باعترافها هذا. لكن بالرغم من ذلك، استدار كاين بخفة وسرعة، معطياً كل انتباهه إلى مهمة الإبحار والقيادة. قال باقتضاب: «أنا آسف لأنني خذلتك».

جنحَت شانون بعيداً عن كاين باتجاه الدرج، عبرت من خلال الأبواب إلى داخل الصالون حيث ارتمت بثاقل وملل على أحد المقاعد الجلدية. اعتذر منها كاين لأنه خذلها. حسناً! هي أيضاً تشعر بالأسف لذلك. لطالما قدّرته وحسدته على صراحته وإخلاصه المتمثلين برفضه لأن يكون غير الرجل الذي هو عليه، والآن، خذلها بالفعل حتى أعماقها، إذ اكتشفت أنه كأي رجل آخر عرفته في حياتها. لماذا تراها شعرت بالخيبة؟ سألت شانون نفسها بمرارة. بالطبع، هذه المشاعر التي أثارها فيها كاين هي بقايا الافتتان المؤلم العنيف الذي تشعر به نحوه. حسناً! الأمر برمته مجرد انجذاب بدائي ليس إلا.

قررت شانون أن الأمر ليس بتلك الأهمية. أطبقت أسنانها على بعضها، لأنه أوضح الأمر لها من دون تردد أو إحراج: أنه ليس معجباً بها! بنظره، شانون مجرد فتاة غنية مدلّلة ومستهترة، تقاضى أجراً كي يُرجعها إلى حيث يعتقد أنها تنتمي، من دون معرفة أي شيء عنها، وعن سبب تصرّفاتها، وعن أفكارها وآمالها، وأحلامها. حسناً! استمر في سخريتك، كاين فالكونر! إنك لا تعرف شيئاً عني، ولن تفعل أيضاً! أصرّت على ذلك بازدراء، متراجعة خلف جدار حصانتها الذاتية الذي بنته حول نفسها. إذا كنت تريد أن تظن الأسوأ عني، فافعل!

ألقى كاين نظرة إلى الخلف حين اندفعت شانون مبتعدة بعنف، لذا لم يفته أن يلاحظ تلك النظرة المنكمشة التي ظهرت على وجهها. قالت إنها تعتقد أنه مختلف عن الآخرين، الأمر الذي فاجأه بقوة، لكنه تفاجأ أيضاً بأنه سُرّ لسماعها تقول ذلك. لطالما اعتقد أن رأيها فيه ليس جيداً، والآن بعد أن استثنته من المنزلة التي كانت تضعه فيها شعر فجأة أنه حقير بامتياز. هو لم يتهمها لأن الجميع يفعلون ذلك، إذ ليس من طبيعته أن يستمع إلى الثرثرة أو أن يتبع التيار، بل لأنه كأي شخص آخر يتمتع بحسّ

المنطق، استطاع أن يرى الطريق التي تسلكها شانون، وهو لا يستطيع أن ينكر أن ذلك الأسلوب المجنون الذي تعتمده لا يعجبه. لكن حتى النساء أو الرجال الذين يتعرضون لأكبر درجة من الانتقاد، يستحقون أن يجدوا من يستمع إليهم، أما شانون فلم يسمح لها بذلك. هذا ما أقرّ به كاين بمرارة. لربما كان عليه أن يتركها هناك، بدلاً من جعلها ترى الأمور على طريقته الخاصة، فيما هي مصرّة إصراراً قاطعاً على رفض ذلك. لكن لو فعل ذلك، ثم حصل لها مكروه ما...

نفض الفكرة عن ذهنه، آملاً ألا يشعر أنه متورط إلى حد لا يستطيع الخروج منه.

كانت محقة حين اتهمته بأن بوفيير أغواه باتفاق جذاب، إلا أن رفضه لذلك الإغواء ليس لصالحه أو لصالح الشركة. إذا عرفت شانون حقاً ما عرضه عليه والدها مقابل أن يعيدها إلى المنزل، فعلى الأرجح أنها ستخاطر بالعودة سباحة إلى البر.

فيما كان كاين يتفحص البوصلة، ويقدّر المسافة الباقية حتى إرساء اليخت، تساءل إذا كانت شانون قد صدّقته حين قال إنه قلق بشأنها. تساءل أيضاً إن كان صادقاً تماماً مع نفسه، في ادعائه الاهتمام بصحتها وسلامتها كسبب رئيسي لإبقائها معه.

منذ اليوم الأول الذي رآها فيه، حين دخلت إلى مكتب أبيها بعنف قبل خمس سنين، حركت شانون كل غريزة كامنة في أعماقه: القلق، الغضب، الرغبة بالحماية... ناهيك عن مشاعر بدائية محضة. فكر كاين مع شعور بالخيبة، أنها بالرغم من صغر سنها في ذلك الوقت، وبالرغم من الغضب الذي صبته عليه في المرة الأخيرة حين نعتته بالخائن، فقد استطاعت شانون أن تؤثر عليه كما لم تفعل أي امرأة التقى بها من قبل.

راح كاين يشق طريق المركب نحو الغسق الداهم. كيف تراه بحق السماء يصرّ على إعادة هذا الشيء إلى كان، برفقة شانون، فيما هو يرغب في معانقتها كل مرة ينظر فيها إليها، حتى وهي ترتدي تلك الثياب البالية؟ حين نزل إلى الأسفل حاملاً معه كوباً من الشاي، ووجدها

مستلقية على ذاك السرير الكبير، وشعرها الأشقر متناثراً على الوسادة، امتلأ ذهنه بأفكار تشبه أي شيء ما عدا النفور منها. ومثلما كان الحال في الماضي، فإن شعوره بالانجذاب نحوها ظل يعذبه. وجد كاين نفسه يحسد كل رجل يتقرب منها، ويرغب لو أنه هو من تهمس باسمه بذلك الصوت اللطيف، وهو من تتألق هاتان العينان الزرقاوان بالبهجة العارمة لرؤيته.

- ما الذي حدث لراكبك الأخير؟

- ماذا؟

استدار كاين إلى الجانب الآخر بسرعة كبيرة، فكاد الكوب الموضوع بجانب لوحة التحكم يطير عالياً.

كررت شانون: «راكبك الأخير، الشخص الذي ساعدك لتبحر في المرة الأخيرة، ما الذي حدث له؟».

- لم يحصل أي شيء.

نظرت إلى يديه السمراوين اللتين تثبتان الكوب، وأدركت من خلال التوتر المألوف وغير المرحب به الذي انتابها، أنهما يدان خبيرتان بالسيطرة على ما هو أقوى من يخت في قلب المحيط...

أضاف كاين: «نزلت في برشلونة».

- أهي امرأة؟

تلك المعلومة جعلت شانون تهزّ رأسها يميناً ويساراً. بعد أن قالت لنفسها إن ليس من شأنها التدخل بمن يصطحب معه على متن المركب، سألته بنبرة حادة: «الماذا؟ هل ضاقت ذرعاً بتنمّرك؟».

- لا!

أرسلت نبرة التأكيد في صوته موجة من العاطفة في داخلها. سألته في المقابل: «من هي تلك المرأة؟ أهي حبيبتك؟».

ظهرت التسلية على كاين، لاسيما وهو يحرك فمه، قبل أن يدير وجهه نحو لوحة التحكم.

راحت تتخيل ساعات المرح اللامتناهية التي قضتها معه تلك المرأة

www.rewity.com

في جناحه الرئيسي الخاص، الذي يصل إليه عبر الدرج الذي لمحته داخل الصالون. فكرت باندفاع سريع، أن هذا هو السبب الذي جعله يخبرها منذ البداية أنه ليس مهتماً بها...

- هل أنت جائعة؟

حدقت شانون بأضواء المركب التي انعكست على المحيط المظلم، وهي تضع يديها الاثنتين في جيبي سروالها الخلفيين، وقالت بتمرد: «وهل تتصور أنني سأتناول الطعام معك؟».

لم يشح كاين بناظريه عن مسار المركب. قال ببرودة: «كما تريدين».

ثم أضاف: «لكن الطريق طويل إلى كان».

تثاقلت خطوات شانون وهي تتوجه إلى الأسفل. ما الذي يفترض بها أن تفعله؟ تساءلت بغضب واستياء. ليس باستطاعتها أن تجلس هنا وتتذمر، فيما هو يُبحر بها نحو الريفييرا الفرنسية.

أخيراً قررت أن تتناول بعض الطعام، بينما تفكر في خطة أخرى. صعدت ببطء الدرج المغطى بالسجاد المؤدي إلى المطبخ. أخذت تفتح الخزائن ثم تغلقها بعنف، متمتمة بعبارات تظهر رفضها بأن تقوم بأي شيء بالرغم من إرادتها. بعد أن وجدت في البراد بعض الوجبات الملائمة التي هي بحاجة إلى التسخين، وضعت أحد الأطباق في المايكروويف. تركت شانون الوجبة تسخن، وخرجت مجدداً إلى الطابق العلوي للمركب. كادت تصطدم بكاين، فيما هو يتخطى الدرج واثباً من السطح الأعلى.

حلّ الظلام الآن، وغابت الشمس ليحل مكانها القمر المكتمل الكبير، الذي أرسل أشعة فضية لامست حدود الأمواج.

- ربما فاتتك مسألة...

قطعت شانون كلامها، وهي تستنشق الهواء، فقد بدا كاين جسيماً جداً، ومهيباً جداً في ظلّ الجو الحميم المسيطر. تابعت بعد قليل: «... ماذا يفترض بي فعله بالنسبة إلى الثياب؟».

بما أن وجهه كان في الظلام، استطاعت شانون أن تشعر بالمتعة

لرؤية التواء زاويتي فمه، فيما أشار إليها أن تدخل مجدداً، ثم لحقها.

- أنا متأكد أن هناك بعض الثياب التي قد تلائمك في إحدى خزائن حجرتك.

تشدق كاين بكلامه، وهي يضيء أنوار الصالون، قبل أن يختفي عند أسفل الدرج، كي يتفحص شيئاً على الأرجح في غرفة المحرّك.

ما معنى ذلك؟ تساءلت شانون بفضول.

- إذا كنت تظن أنني سأرتدي فضلات ثياب صديقتك، فأنت مخطئ تماماً.

تنشقت شانون نفساً عميقاً وهي تشعر بالإهانة، فيما عاد كاين إلى الأعلى مجدداً. تساءلت شانون عن مدى جدية العلاقة ما بينه وبين تلك المرأة، لتترك أغراضها على متن المركب، وكأنها توقعت أن تعود...

- حسناً! عليك أن تتخلصي من الثياب التي ترتدينها الآن عاجلاً أم آجلاً، وإذا كنت لا تمانعين بالبديل...

بالرغم من قوله إنه ليس مهتماً بها، راحت عيناه تجولان على طول قامتها النحيلة، كأنه...

ثم أكمل: «... فمن المؤكد أنني لا أمانع أيضاً».

شعرت شانون بالدم يفور في جسمها حتى يغمر خديها. ارتاحت حين عبقت في الجو رائحة الجبنة، ما جعل كاين يستنشق الهواء، ويقول: «هممم... يا لها من رائحة شهية!».

وجدت شانون متعة ما في إجابته: «هذا هو عشائي».

ثم تابعت: «إذا كنت تظن أنني سأطهو لك، بعد أن تجرأت وخدعتني لتأتي بي إلى هنا بالرغم عن إرادتي، فسوف تصاب بالاحباط الشديد!».

- يا لك من امرأة جريئة. أليس كذلك؟ لطالما اعتقدت ذلك، لكنني الآن فحسب أدركت مدى صحته.

- ما الذي طُلب منك أن تفعله في هذه الرحلة؟ أن تجعلني أعتاد على نمط حياة معين؟

- آه! هذا قد يجعل منها رحلة مشوقة.

توتّرت شانون فيما اقترب منها، والتقط خصلة شعر ذهبية، ثم أخذ يلفها بوقاحة حول سبابته، ويسحبها برفق. جمدت شانون في مكانها، فهذا كل ما استطاعت فعله حتى لا تميل نحوه. قال لها كاين: «لا تقلقي! إن ترويض نساء سريعات الغضب ليست وسيلة لاستجلاب المرح برأيي، بالرغم من أنني لطالما اعتقدت أن توبيخاً قاسياً لن يؤذيك أبداً».

لم تدرك شانون أنها صفعته حتى شعرت بوخز مؤلم في يدها. بعدئذٍ، حدقت مرتعبة بخده المحتقن.

- أُعلمك أنني بلغت الثانية والعشرين من عمري، وأن الطريقة التي أقود بها حياتي، ليست لها أي علاقة بك بأي شكل من الأشكال...

تنشقت شانون نفساً مرتجفاً، وما إن صارت قادرة على التكلم مجدداً، أردفت: «... أو بأي شخص آخر».

أطبق فكيه بإحكام، فيما راح صدره يعلو ويهبط. قبل ما قالته له، وهو يحبس أنفاسه: «حسناً! ربما أستحق هذا».

ثم تابع قائلاً: «لكن دعينا نوضح أمراً ما، لم أنوِ أن أخدعك لتأتي معي على متن المركب، ولم أكن أنوي أن آتي بدوري. بل كانت هذه فكرتي المؤقتة كملاذ آمن حتى تهدأ تلك الفوضى هناك...».

ثم أردف، وهو يرفع ذقنه: «ما كنت لأختار أن أتحمل مسؤولية قضاء وقت مع فتاة همجية في هذه الرحلة، لو لم تفرض الظروف ذلك».

- أتعني صحتي مثلاً؟

ردّت عليه شانون بسرعة، لأنه كان قد خطا إلى الخارج متجهاً عبر درج الشرفة مجدداً.

قال كاين حين رآها تتبعه: «أنتِ محقة، مثل صحتك!».

- يا لك من شهم!

لم تستطع شانون أن تتجنّب تلك السخرية، وهي بداخلها تتحرق ألماً وشوقاً لتسمعه يتفوه بكلمة لطيفة.

- لا! ليس الأمر كذلك. كل ما في الأمر أن الوقت داهمني.

أصرّ كاين على قول ذلك، وهو يعود إلى موقعه القديم خلف المقود،

ثم أردف: «وعدتُ أن أصل إلى كان مع هذا المركب نهار الخميس، وأنا حريص على ذلك. إذا لم أقدر أن أقنعك أن تفكري بالطريقة الصحيحة والمنطقية حتى ذلك الوقت، وإذا رأيت أنك بحالة جيدة، فسوف أُعيدك إلى برشلونة».

- رائع!

كانت أشعة القمر تتموج باللون الذهبي على شعر شانون، فيما وقفت هناك بجانبه، ويداها مرتاحتان فوق وركيها. علقت قائلة: «أهذا ما يجعل من خطفي أمراً مبرراً؟».

تابع سيطرته على المركب قائلاً: «تروبيز هي محطتنا الأولى. إذا كنت تريدين ثياباً، أنا واثق أن المتاجر هناك يمكنها أن ترضي ذوقك الرفيع».

ملاحظة مزعجة ساخرة أخرى، يوجهها كاين إلى الفتاة التي ظنها إياها، لا إلى شانون بوفيير الحقيقية...

حسناً، سوف تريه!

- أرجوك! لا تزعج نفسك بشأن ذوقي أو صحتي، يا حضرة السيد كاين الجليل، يا كاين فالكونر المُبجل، لأن لدي أخباراً لك! في اللحظة التي تطأ فيها أقدامنا اليابسة، لن أنتظر إذنك. سأترجل لأستقل متن أول طائرة متجهة إلى برشلونة.

كانت تلك كلمات غبية. سخرت شانون من نفسها، لأنها لا تملك المال لتستقل حافلة. فكيف بشراء بطاقة سفر بالطائرة؟ حقيقة عدم تمتعها بصحة جيدة لأسابيع خلت، بالإضافة إلى عدم قدرتها على العمل، أدت إلى تقليص مدخراتها، وما تبقى منها يفترض أن يسد الديون التي ترتبت عليها من دون علمها وإرادتها. إلا أن كبرياءها لن تسمح لها بأن تقول هذا لكاين، أو أن تدعه يعرف بالحالة المالية المزرية التي وصلت إليها، وأن تخاطر وتدع رانولف بوفيير يدرك أنه كان محقاً، وبأنها لا تستطيع تدبير أمورها بنفسها.

- هذا حقك الشرعي.

قال كاين ذلك رداً على ما قالته بشأن عودتها حين تسنح لها الفرصة الأولى. أكمل: «لكن إذا فعلتِ، فأي ابنة تكونين؟».

كانت شانون قد سارت مبتعدة عنه، إلا أن كلماته تلك صدمتها في الصميم، فتوقفت عن السير. بالطبع! هذه هي وسيلة الضغط التي يستخدمها ضدها منذ البداية: الشعور بالذنب.

أوضح كاين، وكأنه يقرأ أفكارها: «والدك قلق عليك».

أضاف: «إنه قلق لأنك لا تهتمين بنفسك، وبالرغم من أنني أميل إلى قبول الأمر...».

قام كاين بتمسيد خده بطريقة جدية، ثم أردف: «... أرى أنك تستطيعين بطريقة ما الاعتناء بنفسك».

قالت شانون: «يظن أبي أن المرأة غير قادرة على تحقيق أي شيء إذا لم يكن هناك رجل يدير حياتها».

- وأنتِ تنوين أن تبرهني له العكس؟

- ما الخطأ في ذلك؟

- لا شيء. ثمة طريقة صحيحة...

توقف كاين فجأة عن الكلام، حين سُمع ما يشبه انفجار صادر من جهة المطبخ.

- ما هذا بحق...؟

- آه... لا!

خرجت الكلمات منهما في الوقت عينه، فأخذت شانون تحث خطاها باتجاه اللازانيا التي غفلت عنها.

بدا باب المايكروويف الزجاجي ملطخاً بمواد لزجة. هذا ما لاحظته حين وصلت إلى المطبخ خائبة الأمل. ظهر كاين من ورائها، وأسرع كي يطفئ الجهاز قبل أن تستطيع شانون القيام بذلك. تشدق قائلاً: «يبدو أن عشاءك كانت لديه أفكار أخرى».

قام بالضغط برشاقة على الزر كي يفتح الباب.

نصحها كاين ببرودة، مستخدماً ممسحة ليزيل البخار واللطخات التي

بقيت على الصحن البلاستيكي: «لربما عليك أن تدعيني أقوم بالطهو بنفسي في المرة القادمة».

ثم أضاف: «نسيت أن ذلك أمراً لم تعتادي القيام به. أليس كذلك؟».

بدت نبرته ساخرة وخفيضة.

- مع وجود الخدم، بالكاد أفعل!

ردت شانون عليه بعنف، بعد أن لذعها رأيه الوحشي: «هذا إذا كنت تظن أن التخلي عن طفلة لتتنقل بين المدارس الداخلية والفنادق، وهي حزينة على فقدان أمها، بالنشأة المترفة».

فكرت شانون بذلك بحزن شديد، ثم أضافت: «وسائل الراحة التي نشأت عليها لا يدخل ضمنها إعداد المرء الطعام لنفسه!».

في بعض الأحيان، لم تتوفر لها حتى المياه، ناهيك عن حوض للاستحمام، أو حتى سقف تنام تحته أحياناً. هذا إذا تجاهلت القماش الوسخ للشاحنة التي يعود تاريخها إلى عشرين سنة مضت. هذا ما أخذت شانون تفكر فيه، لكنها لن تخبر كاين بذلك بالطبع.

٤ ـ إياك وكبريائي!

شعرت شانون أنها تتضوّر جوعاً، هذا ما أدركته، وهي تطرح الكتاب جانباً. تزحلقت عن السرير، متسائلة إذا ما كان كاين قد استطاع أن ينظف الفوضى التي سببتها في المطبخ. منذ بعض الوقت، شعرت بالمركب يرسو، وكل ما تسمعه الآن هو حركته اللطيفة، وهو يتهادى على المياه الهادئة. نزلت إلى الأسفل في وقت مبكر، كي تترك له المجال ليبقى وحيداً، مقررة أنه يستحق أن يقوم بالتنظيف بمفرده، بعد أن خطفها من دون موافقتها. والآن، تمنت لو أنها أحضرت وجبة معها إلى الأسفل بعد أن رفضت عرضه بأن يطهو شيئاً لها. كررت بحدة: «لا أريد شيئاً منك».

وأضافت: «سأتناول طعاماً بارداً».

كانت قد رأت بعض أنواع الجبنة في قسم الألبان والأجبان في البراد. أردفت: «سوف أتناولها في حجرتي، بمفردي».

هز كاين كتفيه وقال مجدداً: «افعلي ما تشائين».

وكأن هذا لا يشكل أي فرق بالنسبة له.

والآن، وهي تنقّب في خزانة الثياب، وجدت ملابس نسائية، هي عبارة عن سترة بحرية بدون كمين وسروال مقصوص. لم تجد الكثير غيرها، سوى بعض ثياب النوم.

لعل صديقته لم تكن تحتاج إلى الكثير من الثياب! هذا ما أخذت شانون تفكر به. قررت أن السترة البحرية، على الأقل، قد تكون ذات فائدة. مشّطت شعرها بسرعة وبعنف، من دون أن تزعج نفسها حتى أن تنظر في المرآة، ثم توجّهت مجدداً نحو المطبخ.

كان كاين يقف بجانب الفرن، يطهو وجبته الخاصة، ويسكب الكريما فوق طعام يعبق برائحة شهية من مقلاة صغيرة. شعرت شانون به ينظر نحوها فيما صعدت، لكنها تجاهلته، وأكملت سيرها باتجاه الصالون ثم إلى الهواء البارد الطلق على سطح المركب.

هناك، رأت طاولة حُضّرت لشخصين. إذاً، كاين يتوقع أن تأكل معه. أن تشاركه عشاءه!

استدارت شانون حول الطاولة، متوقفة عند أعلى الدرج. أدركت برجفة خفيفة غريبة، أن ذلك هو الدرج الذي استخدمه كاين وهو يحملها إلى الحجرة.

رسى المركب في بقعة مضاءة بنور القمر. بدا القمر أكثر ارتفاعاً الآن، أما النسيم العليل البارد القادم من جهة الشاطئ، فأنعش حواسها، وجلا أفكارها. تساءلت، أين تراهما الآن؟ أهما على الحدود الفرنسية الإسبانية؟ إنها ليست متأكدة، لكنها بالطبع لن تسأل كاين.

دغدغت رائحة الطعام أنفها بقوة. هل يتعمد كاين أن يغريها بتناول العشاء معه؟ في اللحظة التي قررت فيها العودة إلى الداخل، خرج كاين إلى السطح مجدداً. وضع الأطباق التي يحملها على الطاولة، وقال لها: «تعالي، لتتناولي الطعام».

- لا!

لم يحاول إقناعها بالأمر. بغضب متزايد، سمعت شانون حركاته الكثيرة المرتاحة خلفها. طيلة ذلك الوقت، بقيت الرائحة الشهية تعذب أنفها. قال كاين: «هممم... إنه لذيذ!».

استدارت شانون، وحدّقت به. كان كاين منغمساً في تناول وجبته. استطاعت أن تتخيل مذاق تلك النكهات المتنوعة، والزيت الذي استخدمه للطهو. أمرها كبرياؤها أن تذهب إلى الداخل، وتتركه مع عشائه الفاخر الأنيق، إلا أن معدتها راحت تتوسل إليها. وقد نجحت معدتها في طلب مرادها.

جلست على أحد الكراسي في الجهة المقابلة من الطاولة، فتناولت

www.rewity.com
Breathless Breathless

سكينها وشوكتها، ثم قطعت شريحة اللحم. أغمضت عينيها، متلذّذة بالطعام الذي هو أشبه بطعام الجنة.

- أليس شهياً ومتقناً؟

أبدى كاين تقديره، وكأنه دعاها إلى تذوقه، لا كأنها حسدته عليه، وانتزعته بالقوة عن طاولته. لكنه لم يضف أي تعليق آخر، ما جعلها تشعر بالامتنان.

أضاف بعد قليل: «لا تنسي دواءك. هل عليك تناوله قبل الطعام أم بعده؟».

- سوف أتناوله بعد الطعام.

لاحظت شانون من خلال الأضواء الباهتة المنبعثة من السقف مسحة رضى على شفتيه، ربما بسبب اندفاعها من كل قلبها لتناول تلك الوجبة.

سألها: «لِم تتناولين دواء مضاداً للجراثيم؟ ما سبب مشكلتك المعوية؟».

تناول شوكته، ثم أردف: «ربما لا يجدر بي أن أسأل؟».

- يمكنك أن تسأل.

أجابت شانون باختصار، وهي ما زالت تشعر بوخز من جراء تلك النظرة الراضية التي ظهرت في عينيه. بعد دقيقة واحدة قالت: «كنت بعيدة عن المنزل، والتقطت عدوى، فعدت أدراجي».

هي ليست مستعدة لتخبره كيف أصيبت بالعدوى أو مدى شدّة الإصابة، فذلك الجزء من حياتها شخصي جداً، وهي لن تُفصح عنه لشخص رضي بأن يتقاضى أجراً كي يعيدها إلى منزلها بالرغم عنها!

لم يصرّ كاين على الموضوع، جلس باسترخاء على المقعد المنجّد، وأخذ يتمعّن في ملامح وجه شانون اللطيفة، والبريق الخافت لشعرها، الذي بدا جذاباً بلونه الذهبي الذي تنعكس عليه أشعة القمر.

- كيف يمكن لزهرة إنكليزية نموذجية مثلك أن تتدبر أمرها فيما تحمل اسم عائلة مثل بوفيير؟

نظرته الباردة تلك جعلت نبضاتها تتسارع بجنون. أصيبت بالخيبة

بسبب تأثيره القوي فيها. إنها لا تريد أن تجلس هناك، وتتحدّث معه متظاهرة أن كل شيء على ما يرام، في حين أن الأمور ليست كذلك، ردت عليه بحدّة: «ظننت أنك وأبي صديقان مقربان، فلِم لا تسأله؟».

سوّى كاين جلسته، وقست ملامح وجهه ثم قال: «إنني أسألك أنت!».

- كان لي جدّ فرنسي.

بدأت شانون تقول له هذا قبل أن تستطيع منع نفسها.

- ما معنى هذا؟ أتعنين أنك قضيت بعض العطل في أيام طفولتك في فرنسا؟

- الكثير من العطل...

أضافت: «ليس في فرنسا تحديداً. ولا حتى مع جدي».

بل مع أي من الموظفين العاملين لصالح رانولف، أي موظف يستطيع أن يقنعه بأن يتقاضى مبلغاً معيناً من المال كي يرافقها. أردفت: «لم أتعرف عليه، فقد توفي قبل أن أولد».

- أنا آسف.

- لا داعي لذلك.

هزت شانون كتفيها قليلاً، وهي تفتت قطع الخبز التي تناولتها من السلة. أردفت: «ما تُحرم منه كلياً، لا تفتقده أبداً».

- ألا تفتقدينه؟

رأته يعبس. هل لاحظ النبرة الخائنة في صوتها؟ أكمل: «لم أعرف جديّ أيضاً، لكنني لا أكف عن الشعور بأنني حرمت من التعرف عليهما. أنا لم أتزوج وأستقر أو أنجب الأولاد حتى الآن، لكنني إذا لم أفعل يوماً فسوف أشعر أن الكثير فاتني».

فاجأها اعترافه. لم تتوقع قط أنه من النوع الذي يحب العائلة. قالت شانون بسرعة: «قد يكون الأطفال مصدر إزعاج كبير».

وتابعت: «ما عليك إلا أن تسأل أبي».

وقبل أن تستطيع منع نفسها من الكلام، أضافت ساخرة: «آه! نسيت.

لقد سألته مسبقاً، أليس كذلك؟».

كسر الصمت المفاجئ صوت أمواج البحر المتلاطمة برفق.

قال كاين: «لا تظني... أنني أمضي الوقت كله مع رانولف بالحديث عنك!».

- ألم يكن يفعل ذلك؟

بالطبع لا! فكرت شانون، مدركة أنها أرادت تقريباً أن تصدق بأنه يفعل، لكنها ليست ذات أهمية، لتكون أكثر من فكرة عابرة في ذهن رجل مثل كاين.

قالت بصوت عال: «بالطبع لا».

وأضافت: «الوقت من ذهب. كلامك هذا يذكرني بأهمية الوقت بالنسبة إليك».

إذا كانت شانون بهذه الطريقة تحاول أن تضايقه، فإنه لم يتأثر البتة.

- إذاً هل تقولين إن أولادك سيكونون مصدر إزعاج تام لكِ؟

- بالطبع لا!

بدا جواب شانون حاداً ونهائياً. أردفت: «سأجعلهم يشعرون أنهم محبوبون! سوف...».

توقفت عن كلامها فجأة، مدركة أنها قد ترتكب خطأ كبيراً إن تحدثت إليه.

- تابعي!

أرادت شانون أن تقول إنها سوف تعطيهم وقتها بأكمله، بالإضافة إلى الحب والعاطفة اللذين تفتقدهما في حياتها. بدلاً من ذلك، قالت: «سأعطيهم كل ما لم أحظَ به».

كانت ملامح كاين محجوبة في الظلال، فيما نظر إليها بتساؤل. علّق قائلاً: «قد يرى بعض الأشخاص أنه ليس بالشيء الكثير».

حسناً! هو على حق. فكرت شانون بمرارة. بهزّة بسيطة من رأسها، صرفت النظر عن الموضوع، فقالت: «لن تفهم أبداً».

وضع كاين سكينه وشوكته جانباً، وتقدّم ليضع مرفقيه على الطاولة.

ثم ردّ بصوت خفيض: «جرّبيني!».

رفعت شانون كوبها، وأجابت: «كم لديك من الوقت؟».

- الليل كله إذا أردتِ.

استطاعت أن تتخيل التلميح المبطن وراء تعليقه هذا. بالرغم من ذلك، فاجأها بطريقة لم تتوقعها، فلم تلجم نفسها عن الكلام. أطلقت للسانها العنان. أخبرته عن طفولتها، عن فقدانها لأمها التي أحبتها حباً جمّاً، والتي كانت تصغر رانولف كثيراً في السن، ثم فقدان جدتها خلال ستة أشهر، وعن المدارس والأشخاص المأجورين الذين كانوا يعتنون بها في غياب أهلها. بدت نبرتها مصبوغة بالسخرية، فيما راح كاين يطرح الأسئلة، ويتحقق من أخبارها، ويسبر غور كلماتها، ويصغي بانتباه. تذكرت شانون الليالي التي قضتها مستيقظة حتى منتصف الليل، متخيلة أنها تتكلم معه بهذه الطريقة، وتستحوذ على كامل انتباهه، حين كانت في الثامنة عشرة من عمرها راحت تتخيل...

أدركت المسار الذي اتخذته أفكارها، فشعرت بالرعب، وارتجف صوتها، وهي تسأل: «ماذا عنك؟».

- ماذا عني؟

- ما هي خلفيتك؟ بالإضافة إلى فقدانك لجدّيك، هل هناك أسرار غير حميدة عن ماضيك، أم أنك كنت دائماً الشخص المثالي؟

ارتفع حاجب كاين من جراء ذلك التعليق الساخر، لكنه اختار أن يتجاهله. قال بلطف: «أنا آسف لأنني سأخيب آمالك. لا! ما من أسرار من ذلك النوع. نشأت في مجتمع من الطبقة الوسطى، وارتدت المدارس العادية، ثم الجامعة. أما بالنسبة للباقي...».

ثم سألها: «هل أنتِ مهتمة بمعرفة المزيد؟».

- لا.

أجابت شانون بسرعة، بالرغم من أنها مهتمة جداً، حسبما أدركت في داخلها. في الواقع، رغبت في معرفة كل شيء عنه. كل ما فعله منذ أن ترك بوفيير. أرادت أن تعرف أيضاً عن المرأة التي أتى بها إلى هنا

لترافقه وتشاركه سريره. كررت شانون قائلة: «لا».

ثم أضافت: «لكن بما أن لا شيء آخر نفعله...».

سألها كاين بسخرية: «ما الذي تفضلين أن نفعله، شانون؟».

التقت عيونهما، وتجمّدت نظراتهما، فجفّت حنجرة شانون. يا الله! لِم يطرح مثل هذه الأسئلة بذلك الصوت العميق الأجش، كما لو أنها حبيبته؟ نفضت شانون أفكارها بسرعة. أوضح كاين أنه لا يهتم بها الآن أكثر مما كان يفعل وهي في السابعة عشرة من عمرها، في حين أن كل رجل يلتقي بها من عمر السادسة عشرة حتى الستين، يتمنى لو أنه يتقرب منها، ويغويها... باستثناء كاين.

– أريد أن أخلد إلى النوم.

وقفت شانون بسرعة، فاصطدمت ركبتها بالطاولة عن طريق الخطأ، الأمر الذي جعل الكوبان يهتزان.

بالرغم من عدم شعوره بأي حرج منها، وقف كاين أيضاً، وقال بصوت خفيض: «أظن أن كلينا بحاجة إلى النوم».

ابتلعت شانون ريقها. بدت عالقة في شرك جاذبيته الخطيرة الفاتنة. امتلأ الجو بينهما بشحنات كهربائية. فكرت أن ذلك ليس مجرّد تأثير بريق عينيه، فهو لا يقصد التأثير فيها بالتأكيد. السبب هو انجذابها المميت تجاهه. تجرأت على الاعتراف بذلك، إذ لم تجد تفسيراً آخر لما تشعر به.

– لا. ليس معاً.

أعلن كاين ذلك، وكأنه قرأ أفكارها. أضاف: «أنا متأكد تماماً أن معظم الرجال قد يفعلون كل ما بوسعهم، ويستسلمون لمفاتنك الساحرة قبل أن ينبذوك مثلما ورد في صحيفة الأمس، لكنني لست واحداً منهم. أتساءل كيف ينجون؟».

– هم لا ينجون.

بدت كلماتها مثل صرخة مريرة، منبعثة من صميم قلبها. تابعت تقول: «أنا أفسد عليهم حياتهم. ألا تذكر؟».

من يظن كاين نفسه، ليؤنبها ويذكرها بالتصرف الأخلاقي الشهم؟

أضافت شانون: «من الطريقة التي لا تكف عن استخدامها لتخبرني عن مدى قوة مناعتك، بدأت أتساءل، كاين فالكونر...».

قبل أن تبتعد عنه فجأة، ثار غضبها، فتفوهت بالكلمات كطعنة أخيرة: «... لماذا بات السيد النبيل الشهم كثير التذمّر!».

كانت الدموع قد ملأت مقلتيها حين وصلت إلى حجرتها.

فيما راقبها تغادر، راح كاين يؤنب نفسه حنقاً؛ قمت بإفساد كل شيء، فالكونر! شتم نفسه ساخطاً. لِم بحق السماء عليه أن يثير غضبها بهذه الطريقة؟ إنه يجهل السبب، أو لربما لا يفعل، إلا أنه لا يريد أن يعترف به، هذا ما أخذ كاين يفكر به. الأمر غاية في البساطة، إنه يعشق تلك الفتاة، ويريدها في حياته. لكن من جهة أخرى هو لا يصدق أن أي رجل يستطيع أن يقترب منها من دون أن يصاب بأي أذى. تذكر صورة جايسون ماركام في إحدى المجلات مع زوجته المحببة. تذكر الكلمات التي استخدمها الرجل ليبرر علاقته مع شانون بوفيير: «لقد سحرتني!».

تذكر مدى فعالية الطعنة التي وجهتها إلى قلب كبريائه الهشة، حين سخرت من حاجته المتواصلة إلى نكران تأثيرها عليه. حسناً! عليه أن يستمر في النكران، وأن يرفض السماح لهذه الفتاة بأن تهزمه مهما بدت جذابة. بالرغم من كل شيء، شانون لا تزال فتاة يافعة، يافعة جداً لتشعر بدرجة المرارة التي تضمرها. افترض كاين أن جايسون لم يكن مجرد حبيب خائن، وأن الصحافة لم تكن هي المسؤولة عن الموضوع. شانون ليست من النوع الذي يفصح عن تفاصيل حياته، لكن من خلال ما قالته له، تبين أنها واجهت المتاعب في المسائل التي تتعلق بعلاقاتها. خمّن كاين من تلقاء نفسه، أن رانولف بوفيير ليس ذلك الأب الأكثر تفهماً وعطفاً في العالم!

لم تثق ابنته بأي شخص، لاسيما الرجال، ومن المستحيل أن يقوم كاين فالكونر بشيء يعزز رأيها هذا.

* * *

لم تكن شانون متأكدة ما الذي أزعجها، لكن الضوء الذي يتسلّل من خلال الستائر، أوحى لها ببداية بزوغ الفجر. سرعان ما سمعت أصوات رش مياه في الخارج، تكررت عدة مرات، الأمر الذي جعلها تندفع من سريرها، لتتوجه إلى نافذة الجهة اليمنى من المركب.

حجبت شانون عينيها، إذ إنها لم تكن قادرة على الرؤية بسبب شعاع الشمس الساطع المنعكس على سطح المياه.

ساد الهدوء على متن المركب، ما عنى أن كاين لا يزال نائماً في حجرته. انتشلت إحدى المناشف ووضعتها على كتفيها، وتوجهت بصمت وبسرعة نحو أعلى المركب من الجهة الخلفية وهي لا ترتدي سوى ثياب نومها. بالرغم من أن الوقت ما زال مبكراً، إلا أن الجو بدأ يميل إلى الحر تدريجياً.

الخليج الذي اقتربا منه يقع على ساحل مليء بالحصى. وهو على بعد يمكن الوصول إليه سباحة، حسبما قدرت. هذا ما لاحظته شانون، وهي تحجب عينيها مجدداً قبل أن تنظر باتجاه البحر.

كانت الشمس تبسط أشعتها الذهبية على سطح المياه، فبدت المياه متلألئة إلى حد يؤلم العينين لمجرد النظر إليها. بالكاد كانت هناك موجة صغيرة، غير تلك الأمواج المرتطمة بجسم المركب، فقد بدا الجو هادئاً جداً. ما زالت شانون غير قادرة على تصديق ما خُيل إليها أنها سمعته من حجرتها. قطع شيء ما انسياب سطح المياه على بعد عشرة أمتار. إنه دلفين ذو لون رمادي يقفز بسرعة من أعماق البحر، ثم تبعه آخر شبيهاً به، ثم آخر... شهقت شانون من الدهشة، وراحت تضحك من المفاجأة. لم تستطع إلا أن تقف وتراقب، فيما أخذت ثلاثة دلافين لماعة ذات خياشيم تشبه شكل رأس الزجاجة، تغطس واحدة تلو الأخرى، عائدة إلى قلب الأمواج المتلألئة.

طوال بضع دقائق متتالية، راقبت شانون تلك الدلافين بابتهاج، وهي تظهر فوق سطح الماء، ثم تحتجب عن الأنظار مغمورة بها، فيما حسدتها على حيويتها وقوتها.

أغرتها الحرية وهي تنزل الدرج المؤدي إلى منصة السباحة. وقفت هناك وهي تتأملها. خطوة واحدة فقط! فكرت شانون، وهي تستجمع قواها لتتقدم... خطوة واحدة فقط، وتصبح حرة كالدلافين...

* * *

نام كاين نوماً عميقاً، لكنه استيقظ من تلقاء نفسه، قبل أن يزعجه منبّه الراديو. كانت إذاعة «وارد سيرفيس» تبث أخباراً عن الكوارث الطبيعية على السواحل البعيدة، كالفيضانات في آسيا، وذوبان الثلوج من جراء الموجة الحرارية الحالية.

ارتدى على وجه السرعة سروالاً قصيراً، وقميصاً فضفاضة قصيرة الكمين، ومرر أصابعه في شعره، ثم أدخل قدميه في خفين مفتوحين. أخيراً توجه إلى الأعلى باتجاه المطبخ.

سكب كاين فنجاناً من القهوة لشانون، وأخذه إلى حجرتها. فتح الباب حين لم تقم بأي رد فعل لدقّاته القوية على الباب.

- شانون!

السرير الفارغ غير المرتب جذب انتباهه.

كيف أمكنها أن تستيقظ وتغادر؟ أخذ كاين يتساءل مقطب الجبين. أتراها صعدت إلى السطح؟

ترك الفنجان وصحنه على منضدة التزيين، وراح يتفحص الحجرات الصغيرة الأخرى من كلا الجانبين، سرعان ما أنبأه شيء ما ليصعد الدرج عائداً إلى الأعلى، فوجد نفسه يقفز الدرج المؤدي إلى سطح المركب. لم تكن شانون مستلقية حتى على السرير الشمسي. نظرة واحدة من فوق حاجب الرياح، إلى مقدمة اليخت أظهرت له أنها ليست هناك أيضاً.

- شانون!

جال بنظره بحراً وجواً، وبين الشجيرات الخفيضة المنتشرة فوق الشاطئ البعيد المنال... حسناً! بعيد المنال تقريباً...

اجتاحته موجات من الحر حيناً ومن البرد حيناً آخر. أهذا معقول؟ لا يمكنها...! عاد يناديها: «شانون!».

www.rewity.com

الرعب هو شعور غريب بالنسبة إلى كاين، لكنه بدأ يشعر به الآن. أراد أن يؤنب نفسه مجدداً بسبب الكلمات التي تفوه بها ليلة أمس. ناداها مجدداً: «شانون!».

لفتت انتباهه حركة في المياه، سرعان ما أدرك أنها الدلافين. عدّ اثنتين منها... لا، بل ثلاثة.

فجأة، حالما تقدم كاين أكثر، لمح الوجه المائل إلى الاصفرار والأطراف الملساء تخترق المياه.

تلك الفتاة الغبية تسبح مع الدلافين! أدرك كاين هذا، فأرخى كتفيه، وعاد مسرعاً إلى أرض المركب، بينما كانت شانون تسحب نفسها مجدداً إلى متن المركب.

بدأ الارتياح الذي غمره إثر رؤية شانون هناك على السطح يتبدّد في ظل شعور الصدمة الذي زعزعه في الصميم. وقفت شانون فوق منصة السباحة مرتدية ثياب نومها المبللة تماماً بالمياه. بدت كحورية البحر، فاتنة مثلها تماماً. حالما وقفت على رجليها، أخذت المياه ترشح من ثيابها الملتصقة بجسدها، فيما كان شعرها الأشقر الملتصق برأسها، منسدلاً على كتفيها في خصل متلبدة. وجّهت نظرها إلى الأعلى، ورأت كاين واقفاً هناك على الدرج فوقها.

للحظات بدت له أبدية، طال تحديقهما ببعضهما. خُيل لكاين أن شانون أصيبت بالشلل تماماً بسبب وجوده هناك، إلا أن جمال تلك المرأة جعله ينحرف عن مساره الطبيعي، فراحت أفكاره تسبح وتسبح، مُزلزلة أحاسيسه، فيما أخذت عيناه تتأملان قامتها النحيلة المليئة بالجاذبية والفتنة. شعر حينئذٍ بجسده ينقبض، وينبض بتوتر مؤلم. بحق السماء! ما الذي تحاول شانون أن تفعله به؟ أحنى كاين ظهره بغضب ليتناول المنشفة الكبيرة التي لاحظها لتوّه مطروحة على الأرض. ألم تدرك بالله عليها أنه من لحم ودم أيضاً؟

- إليكِ بها!

رمى إليها المنشفة بقوة أكبر مما تصور، ما جعل شانون تتهاوى إلى

الخلف وهي تلتقطها. قالَ: «لفيها على جسمك بسرعة».

تمسكت شانون بالمنشفة ولفتها على جسدها بعد أن لذعها غضبه كالسوط. كان هذا كل ما تستطيع أن تفعله لتتجنب التلعثم في كلامها، فيما كانت تقول، وهي تصعد الدرج: «لِم أنتَ غاضب إلى هذا الحد؟».

تفاجأت شانون بالنبرة اللامبالية التي استطاعت أن تواجهه بها وهو يقف هناك. أضافت: «هل مناعتك الرهيبة تلك على وشك الانهيار، كاين؟».

همّت شانون بأن تمشي من أمامه برأس شامخ، إلا أن قوى العالم بأسره لم تكن لتستطيع أن تمنعه من الاقتراب منها وإيقافها. أطلقت صرخة خفيفة حين أمسك بذراعها بقوة، وأدارها بغضب كي تواجهه.

- ما الذي تظنين أنك تفعلينه؟

استطاع كاين أن يشعر بالنبض يخفق عند صدغيه، وبحنقه يهدّد بإضعاف سيطرته. أضاف: «أتعلمين ما الذي ظننته حين لم أجدك، وحين أبصرتك في المياه للوهلة الأولى؟».

لاحظ كاين أن تلك الهيئة اللامبالية استُبدلت على نحو لافت بشيء هو أشبه... بماذا؟ الخجل؟ الحذر؟ تساءل كاين متفاجئاً. تابع كاين: «لِم بحق السماء، لم تخبريني قبل أن تنطلقي؟».

- دعني أذهب!

- لا!

انغرزت أصابعه في ذراعها، فيما راحت تتململ لتتحرر من قبضته. أصر قائلاً: «أجيبيني أولاً».

ردّت شانون عليه بإجفال، فخفف كاين الضغط قليلاً: «ما الذي كنت ستفعله؟ أتمنعني من الذهاب؟».

- على الأرجح. أو على الأقل كنت لأصرّ على ألا تسبحي من دون رفقتي.

- لماذا؟ كي لا أصاب بأي أذى؟

بدا سؤالها هذا عبارة عن سخرية مهينة نابعة من تساؤلها إذا كان

يهتم، في حين أنه لا يفعل حسبما يبدو واضحاً، ومن تأثرها القوي بجاذبيته الفاتنة الرهيبة. لم يكن قد حلق ذقنه بعد، كما بدا شعره أشعث. أضافت: «أم أنك ظننت أنني أحاول الهرب؟».

علّق كاين، وقد صار أكثر قدرة الآن على السيطرة على نفسه: «لكنت غبية جداً إذا حاولت ذلك».

ثم أضاف: «وكلانا نعرف، أنك لستِ كذلك، شانون!».

- هل نعرف كلانا بالفعل؟

استطاعت شانون أن تهز كتفيها لتفلت من قبضة يده المقيّدة. تابعت: «ظننتُ أن العقل هو آخر شيء تعتقد أنني أملكه!».

لاحظت شانون تعبيراً موجعاً صبغ ملامح كاين بعاطفة قوية لم تستطع أن تفسرها، فيما راحت نظراته تلامس وجهها، ثم تتبع مسار المياه الجارية على كتفيها، الأمر الذي جعل عمودها الفقري يتصلب، وأنفاسها تتسارع، وموجات الحرارة تجتاح كيانها.

أصر كاين، متجاهلاً ملاحظتها الحادة: «إنها مخلوقات غير أليفة وخطرة».

بدا صوته أجش من جراء الألم الذي شعر به في معدته بسبب رغبته في أن يمرّر يده فوق بشرة وجهها الناعمة كقماش الساتان. كان عليه أن يبقي ذهنه مركزاً على ما يقوله، وتمنى ألا تلاحظ شانون مدى تأثره بها. أضاف: «يمكنها أن تسبب لك الكدمات».

- يبقى ذلك أقل إيلاماً من الأذى الذي يسببه البشر المتحضرون. مع الحيوانات أنت تعاني من الألم الجسدي فقط.

لاحظ كاين أنها مجروحة بعمق. أدرك أنها تتألم من الداخل، لكنه لم يستطع أن يكبت نبرته المستفزة النابعة من خيبته الذاتية، وهو يسأل: «هل تفعلين دائماً ما تريدين من غير اعتبار للعواقب؟».

أهذا ما يفكر به حقاً؟

هزّت شانون كتفيها وأجابت: «لِم لا؟».

وأضافت: «أنا من الأشخاص القلائل الذين ينفقون الأموال بهدف

المتعة فقط. أليس هذا ما اتهمتني به ذات مرة، كاين؟ الحياة لأجل المتعة ليس إلا؟ ما عليك إلا أن تجرّبها يوماً ما، فقد تحررك قليلاً!».

- أتعتقدين أني أحتاج إلى بعض التحرّر؟

حذّرها عقلها ألا تتابع استفزازه بهذه الطريقة، لكن رأيه فيها ناهيك عن كبريائها المنكسرة، منعاها من الاستسلام.

- ليس علي أن أعتقد، فأنا أعلم ذلك! أنت تدينني لما تعتقد أنني عليه، لكنك تشبه أي رجل آخر التقيته في حياتي. بل إنك منافق لأنك تتظاهر بعكس ذلك! أنت تتلهّف كي تعانقني، لكنك لا تتجرأ، لأنك تعتبر ذلك إهانة لكبريائك العظيمة، كما أنك موظف لدى أبي، أم... هل يجب علي القول إنك التابع الخانع لديه؟

أرادت شانون أن تقلّل من شأنه، وأن تهينه، تماماً كما أهانها، بل كما فعل العالم بأسره. تابعت قذف كلماتها باتجاهه: «لن تفعل شيئاً يهدد موقعك بنظره، أليس كذلك؟ لاسيما بعد الرحيل ثم العودة إليه مجدداً، ألا تظن أن مصداقيتك اهتزت؟».

استطاعت شانون أن تندفع بسرعة حول الطاولة، إلا أن كاين كان سريعاً جداً، فأطلقت صرخة ذُعر حين أعاق طريقها بجسده.

- إذاً، أنا منافق ومتملّق وتابع خانع لأبيك. أليس كذلك؟

تكلم كاين بصوت رقيق مهدّد، ثم ارتفعت يده لتمسك ذقنها بين إبهامه وسبّابته، فيما أردف: «أتظنين أن عملي لصالح رانولف يمنعني من الحصول على ما أريده إذا كنت أود حقاً أن أجرّب؟».

أدركت شانون أنها هي التي أوصلت الحديث إلى ما آل إليه الآن، فوبّخت نفسها متمنية لو أنها أبقت فمها مقفلاً. حبست أنفاسها فيما لامس إبهامه العريض أسفل خدها. أخفضت شانون أهدابها الباهتة كي لا تواجه السخرية التي ظهرت على وجهه.

- أتعتقدين أن لديك مقوّمات الإغواء، شانون؟ هل تعتبرين نفسك في موقع يخولك إعطاء الأوامر دائماً؟ أتعتقدين أن العبث مع الرجال لعبة تمارسينها على هواكِ؟

لا! ليست كذلك بالطبع. هذا ما صرخ به رأسها بصخب. سيطر عليها خوف وحماس متزايدين، حين أصبحت مدركة تماماً لعبير المسك العابق من جسده، وللقوة القاطعة لجاذبيته الطاغية. بدا هذا الاتصال شراباً مهلكاً أكثر من كل ما اختبرته سابقاً.

نظرة لاواعية أظهرت لشانون مدى تأثيرها عليه. الاحمرار الذي صبغ وجنتيه، فضلاً عن صدره الصاعد بقوة هما خير دليل على ذلك.

آه! يا لكَ من رابط الجأش، كاين! لكن ليس إلى حد لا يُقهر، بالرغم من كل شيء! أخذ عقلها يضجّ بهذه الأفكار، بالرغم من أنها لم تتمكن من إيجاد كلمات مناسبة قادرة على توبيخه.

تنفس كاين، قائلاً بصوت ناعم ينبئ بالخطر: «تهانينا. أنا كائن بشري بعد كل شيء».

أضاف: «والآن اذهبي، وبدلي هذه الثياب، قبل أن أنسى كم يجب أن أكون لطيفاً، وأريك ما هو العبث الحقيقي مع كائن مفترس!».

فرّت شانون من المكان وهي تشعر بالإهانة والألم.

٥ ـ تكبّر مزيف

بدا الصباح مشمساً رائعاً بسمائه الزرقاء، أما الغيوم البيضاء المكتنزة فتتهادى ببطء بعيداً في الأفق.

استلقت شانون مغمضة عينيها بتكاسل في وجه الشمس على أحد المقاعد على السطح الأعلى لليخت. أدركت أن كاين يغادر المقود، كما أدركت، بالرغم من صوت المحرّك، حركاته الرشيقة المرتاحة، فيما أخرج شيئاً ما من البراد خلف مقعده.

طيلة ذلك الصباح، ومنذ تلك المشادة الكلامية المهينة بينهما، أوضحت شانون بصراحة تامة أنها لا ترغب في التواصل معه، وتفاجأت حين نزل كاين عند رغبتها، مركّزاً على إدارة اليخت فحسب. لكن خلال فترة الأربعين دقيقة أو ما يقاربها، وفيما هي مستلقية هناك، لم تستطع أن تمنع نفسها من استراق نظرات خفية إلى كتفيه العريضتين اللتين تنضحان بالقوة من تحت تلك القميص القطنية التي يرتديها. وجدت نفسها تتساءل مجدداً عن المرأة التي رافقته في رحلته الأخيرة، وعن سبب بقائها في برشلونة. تساءلت مع بعض الشعور بالاستياء عن مدى جدية علاقتهما. حسناً! ربما هي ليست علاقة جدية، فعشرات النساء يتمنين أن يرافقنه في جولة تجمع العمل والمتعة في آن معاً.

- خذي هذه. فكّرت في أنك ترغبين في تناول شراب بارد.

شهقت شانون قليلاً حالما فتحت عينيها، ورأته منتصباً أمامها، حاملاً بيديه كوبين يحتويان على سائل أحمر اللون، يروي العطش بدون أي شك. غمغمت بتقدير: «شكراً لك».

جلست على الجهة الأخرى من المقعد الذي كانت مستلقية عليه.

www.rewity.com

بين زرقة البحر وزرقة السماء، بدا كاين كأحد أبطال الأساطير ببنية عظامه القوية المدهشة.

أخفضت شانون نظرتها بسرعة، شاعرة بالامتنان لأن شعرها المنسدل إلى الأمام قليلاً أخفى وجهها، فيما ارتشفت شرابها الشهي.

- كيف تشعرين؟

راحت عينا كاين تتفحصانها عمداً، الأمر الذي جعلها تشعر بالحرارة الشديدة، وبعدم الارتياح، من تحت الرداء الخاص بالبحر الذي وضعته فوق ثوب السباحة الذي ترتديه. ضبطت شانون صوته المتشدق وهو يقول: «أستطيع القول إنك بحال أفضل. فقد رجع اللون إلى وجنتيك اليوم».

- وماذا تتوقع؟

ردت شانون عليه، وهي تنظر باتجاه الساحل نحو البيوت المطلية بالكلس على منحدر التل. أكملت قائلة: «هل تتوقع أن أساعدك في قيادة اليخت؟».

في الواقع، لم تفعل شيئاً حتى الآن في سبيل مساعدته، وهو لم يطلب منها. على الأرجح أنه اعتقد أنها أضعف من أن تفعل. جادلها كاين، والمرح يبدو عليه: «لا تتظاهري أنك لا تستمتعين ولو قليلاً».

عليها الاعتراف بصمت أنها تشعر بالتحسن هذا الصباح. هي أفضل مما كانت عليه في الأسابيع القليلة الماضية، ورأت أن السبب يعود إلى هواء البحر وأشعة الشمس أكثر منه إلى اهتمام كاين بها.

- أهذا ما كنتِ تفعلينه في ميلانو...؟

أخذ كاين جرعة كبيرة من شرابه، وأردف: «...تستمتعين بوقتك؟».

أوقفت شانون حينئذٍ الكوب عند حافة شفتيها، ونظرت إليه مشدوهة، ثم سألته بحذر: «كيف عرفتَ أنني كنت في ميلانو؟».

كان كاين يجلس هناك مستمتعاً بشرابه، غير آبه لتأثير جاذبيته الساطعة عليها.

- تعقبتك لأشهر خلت. رصدتك هناك، لكن صاحب الفندق الذي كنت تنزلين فيه قال إنك غادرتِ منذ أسابيع... بل أشهر... ما الذي كنت تفعلينه هناك؟

كرر كلماته، بصوت عميق أكثر تماسكاً الآن. أبعدت شانون شعرها عن وجهها، وشعرت بعيني كاين تتبعان تلك الحركة.

حاولت ألا تظهر أنها تفاجأت بالسؤال، فقالت: «عملت في عرض الأزياء».

أكملت: «حين لم أكن أفعل ذلك... كنت أمضي وقتي في الدراسة».

- أنت... تدرسين؟!

فاجأه ذلك أكثر من أي شيء آخر. تابع يسألها: «ماذا تدرسين؟».

هزت شانون كتفيها، وأخذت جرعة أخرى من كوبها. شعرت بالانزعاج من النبرة التهكمية التي سمعتها في صوته، فقالت: «التمرد على المتسلطين».

- ليس هناك من دراسة بهذه الاسم.

لامست البسمة حدود شفتي شانون، وقالت: «إنما هناك موضوع كهذا».

في الواقع، كانت تدرس لتحصل على شهادة في العلوم التجارية والإدارية، عملت جاهدة لتنالها بعلامات ممتازة، إلا أنها لم تخبر كاين بشيء من ذلك. تحدّت كاين لتثبط عزيمته: «أنت تعتقد أنني مجرد فتاة متمرّدة. أليس كذلك؟».

وأردفت: «مثلما يعتقد أبي، ومثلما يفعل كل الناس».

بدا كأن كاين يزن سؤالها، لأنه أخذ وقته قبل الإجابة: «ألم يقل لنكولن إن القليل من التمرد بين وقت وآخر ليس بالأمر السيء؟».

صحّحت له شانون فوراً: «بل جيفرسون».

رأت رأسه ينخفض إقراراً بذلك، أما الخطان الصلبان لذلك الفم الرائع فالتفّا مبينين شعوره بالتسلية، كما لو أنه يعرف ذلك، لكنه يمتحنها

ليس إلاّ. يا له من حوار! هذا ما فكرت به شانون بتوق مفاجئ ومؤلم تقريباً. أضافت: «تعلّمت قيادة الطائرات».

- قيادة الطائرات...؟

لم تبدُ عليه ملامح التهكم الآن. في الواقع، بدا الذهول تقريباً عليه إثر سماعه لذلك الخبر.

- هل حصلتِ على رخصة؟

هزت كتفها بحركة سريعة، وأجابت: «وما نفع ذلك؟».

- ماذا...؟

ومضَ شيء ما في عيني كاين فيما سوّى جلسته. علّق: «آه! فعلت ذلك فعلاً من أجل التسلية. أهي طريقة لتخفيف الملل؟ ماذا تفعلين بكل ما تقدمه لكِ الحياة، شانون؟».

بدا أنه ينظر إلى ما تقوله بغضب شديد. فتابع: «نظراً إلى مهاراتك الواضحة وذكائك، اعتقدت أنك سوف تودين أن توظفيها بطريقة أكثر فائدة، أو أن تفعلي شيئاً عملياً أكثر في حياتك».

شيء عملي أكثر في حياتها؟!

استطاعت شانون أن تتذوق الغبار في فمها، وتشم رائحة المرض وهي تعشش في خياشيمها، وتشعر بالحر الخانق الذي لا يحتمل... أرادت أن ترد عليه بعنف قائلة إنها تعرف أكثر منه عن الطرق المفيدة التي يمكن اتباعها، وترشقه بكلمات تعبّر عن مدى فائدة المنفى الذي اختارته لنفسها، إلا أن الصمت، كما تعلمت منذ زمن بعيد، يصون الخصوصية، والخصوصية هي ما تحتاج إليه. إذ إن الناس يشعرون بالملل إذا لم يستطيعوا اكتشاف شيء جديد عن الآخر، فيتركونه وحيداً. لكن إفشاء أي خبر عن شانون لأي كان قد يجذب اهتمام الإعلام إليها من جديد، وستحظى في مجلاّت أخبار المشاهير بالانتقاد اللاذع مجدداً، على حساب مشاعرها.

- التخفيف من الملل يعتبر امتياز الأثرياء، كاين، لكنك لن تعرف بهذا أو تشعر به. أليس كذلك؟

تلفظت شانون بذلك بنبرة لطيفة وساخرة معاً، وهي تقف لتضع كوبها على غطاء طاولة الشواء قبل أن تتوجه نحو السياج.

قال كاين: «لست متأكداً من أنني أريد أن أعرف».

- الجميع يريدون ذلك.

أصرّت شانون على ردّها، والنسيم يتلاعب بشعرها، وبشرتها الباهتة مكشوفة حيث انزلق الرداء بطريقة فاتنة مغوية عن إحدى كتفيها. أضافت: «إذا كانوا لا يريدون، فهم إما غير طبيعيين أو كاذبون، أما أنت، فابقَ على تملقك تجاه أبي».

لم تعد شانون تستطيع أن تتراجع عن سخريتها حتى لو أرادت ذلك. تابعت: «... سوف تصبح ثرياً في أحد الأيام».

شعر كاين بتزايد سرعة نبضات قلبه وهو يراقبها من الخلف. كان بصحبة صوفي حين اشترت هذا الرداء من جامايكا، لكن بالرغم من جمالها وفتنتها، فإنها لا تقارن بشانون. ثمة سرّ في هذه الفتاة، بدءاً من الطريقة التي تنظر بها، إلى الطريقة التي تتكلم بها، بالإضافة إلى حركاتها التي تبعث فيه إكسير القوة. تنفس كاين قائلاً: «أنت فيلسوفة ساخرة بالفعل. هل تعرفين ذلك؟».

لاحظ كاين على شانون التوتر، وفجأة، بدا كأنها انتبهت لتوها لوضعيتها تلك ولتأثيرها عليه، فأنزلت ذراعيها عن السياج، وغمغمت: «ذكرت لي هذا من قبل مرة أو مرتين».

سحب كاين نظرته عن تلك الكتف العارية، ثم سألها: «ما الذي حدث لحبيبك؟».

كان هذا شيئاً أراد معرفته منذ أن تكلم معها للمرة الأولى في لاس رامبلاس.

- حبيبي؟

بدا صوتها متردداً وحذراً.

- ذاك الذي انتقلتِ للعيش معه؟

- انتقلت...

توقفت شانون عن الكلام فجأة، وظهر العبوس على وجهها. للحظة واحدة أراد كاين أن يسحبها لتجلس على ركبتيه، ثم يصفعها على مؤخرتها كما اقترح يوم أمس. كيف يمكنها أن تتظاهر بعدم معرفتها بما يتحدث عنه؟ قال بنبرة خشنة: «هل ثمة الكثير منهم، حتى إنك لا تتذكرين أياً منهم هو بالضبط؟ أنا أتكلم عن الذي كان مهماً جداً إلى حد جعلك تتخلين عن مسكنك حين كنت في إيطاليا».

- آه! بيبرز.

أطلقت شانون ضحكة خفيفة متوترة وفكرت في إضافة شيء بعد، لكن اشتباك نظراتهما المتبادل جعلها أكثر رصانة، فانشقت شفتاها اللامعتان عن بعضهما قليلاً. تابعت: «بيبرز هو من كنت معه في البيرو».

علّق كاين: «آه!».

وكأن ذلك قد أوضح الأمر برمته. نفضت شانون من رأسها تأثير جاذبيته الساحرة. إنها لم تعش مع بيبرز يوماً. حسناً! ليس بالطريقة التي يتهمها بها كاين. بيبرز وزوجته هما اللذان ساعداها حين فرّت من إنكلترا ومن الصحافة، وساعداها على استرجاع احترام ذاتها، وأرشداها للقيام بشيء ترغب فيه حقاً، شيء قيّم...

- وأين هو العزيز بيبرز الآن؟

نبرة كاين المليئة بالازدراء جعلت شانون في موقع الدفاع عن نفسها أكثر من ذي قبل. هزّت كتفيها مجدداً، وفيما ابتعدت عن السياج، قالت بلا مبالاة: «ذهب كل منا في طريق».

- أمر طبيعي!

بعد أن أنهى كوبه، تقدم قليلاً ووضعه على السطح الأبيض للطاولة إلى جانب شانون، ثم أردف قائلاً وهو يقف: «مسكين بيبرز».

وتابع: «أشعر بالأسف حياله. لاسيما أنه يُنسى بسهولة. هل تذكرين أياً منهم، شانون؟».

عصفت ريح جعلت أوراق المجلة التي تركتها على المقعد تنقلب قليلاً وتصدر حفيفاً، كما جعلت شانون ترتجف، بالرغم من أن ذلك

الارتجاف سببه ازدراء كاين الواضح أكثر منه الهواء البارد. بلطف، ومن دون تفكير، غمغمت شانون: «أتذكرك أنت».

حدّق إليها بتينك العينين البراقتين المحجوبتين بالسواد الداكن لأهدابه. قال بصوت أجش ومتفاجئ، وساخر أيضاً: «هل يفترض أن أعتبر هذا إطراء؟».

بالطبع، ما زالت أفكاره مشوشة تجاهها، ولم تفعل شانون بدورها شيئاً لتحسّن رأيه القاسي بها. لكن لِم عليها أن تفعل؟

شعرت بالاحباط بفعل الاستياء الذي انتابها منذ الليلة الفائتة. وجدت شانون نفسها تسأله: «ماذا عن الفتاة التي...».

وهي تشد أصابعها المطلية باللون الأحمر بالرداء، أكملت: «... يخصها هذا الرداء؟».

كان كاين عائداً إلى مقبض دفة المركب، لكنه ألقى نظرة من فوق كتفه، وهو متجهم الوجه. واستفسر سائلاً: «ماذا عنها؟».

- هل تعني لك الكثير؟

- نعم، تعني الكثير لي.

أجاب بذلك من دون أي تردد، الأمر الذي جعل عضلات معدتها تنقبض متألمة.

- هل ستتزوج بها؟

اللعنة! لِم طرحت عليه هذا السؤال؟

- أتزوج بها؟

ضحك كاين مظهراً أسناناً قوية بيضاء خلف بشرته الحنطية، ثم أجاب مغمغماً، وهو يتفحّص شيئاً ما على لوحة التحكم: «لا».

ثم أضاف: «لن أتزوج بها. لِم تسألين؟».

راح كاين ينظر إلى شانون نظرة ملؤها السخرية والفضول وهو منحنٍ على جهاز القيادة. أما هي فلاحظت بخجل أنه واع للارتياح الذي ظهر عليها حين أعطاها الجواب. سألها: «هل تخططين لأكون الرجل التالي الذي تستحوذين عليه؟ إذا كنتِ تفعلين، فانسي الأمر».

www.rewity.com
Breathless

وأضاف: «أنا أتجنب التورط مع النساء الجذابات جداً، واللواتي يفرِطن بالاستمتاع بوسائل الترف مثلك».

- بالطبع. أنت تفعل.

ابتسمت شانون، بالرغم من أن كلامه جرحها في العمق. توجهت إلى الأسفل، كي لا يدرك كاين مدى قوة شعورها ذاك.

* * *

انقلب الطقس عاصفاً ذلك المساء، فاشتدت سرعة الرياح، وتلاطمت أمواج البحر، وسقط وابل من المطر على سطح المركب. الأمر الذي اضطرهما إلى العودة إلى الداخل، كما أجبر كاين على إيجاد مكان آمن للإرساء فيه تلك الليلة في وقت أبكر من المتوقع.

- لِم لا تسترخين؟

اقترح كاين ذلك على شانون، وهو يتوجه إلى الصالون قبل وقت تناول العشاء بعد نجاحه في إرساء المركب ذلك المساء. وسارعت إلى الأريكة الجلدية، قبل أن يستطيع الانضمام إليها. لكن برشاقة، التقط كاين رسغها فيما حاولت الفرار.

- دعني وشأني!

سيطر الرعب على صوت شانون حين أدركت أن لا مفر لها، فقالت: «لن أقضي أي دقيقة مع شخص يحاول إهانتي باستمرار».

عملت ما بوسعها كي تتجنّبه منذ ذلك المشهد في الصباح، فتناولت الطعام وحدها، وبقيت بعيدة عنه، خجلة من نفسها لأنه ما زال يؤثر فيها، لا سيما أنه يبدو مصمّماً على إيذائها في كل ما يقوله.

- إهانتك؟

- نعم. عبر إجباري على المجيء معك على متن هذا الشيء، وتفريغ غضبك كله علي كلما أتيحت لك الفرصة لذلك! ألم يخطر ببالك أنك بذلك تخترق القانون وأنني قد أرفع دعوى خطف ضدك؟

راحت عينا شانون تبرقان كالأحجار الكريمة، وعلا بشرتها الخالية من أي عيب لون أحمر من جرّاء غضبها، هذا ما لاحظه كاين، وهو

يلوي فمه فيما راح يتمعن بسؤالها. أجاب: «نعم... ولا».

وحين رأى تينك العينين الودودتين الداكنتين المتسائلتين، أردف: «نعم، أنا على الأرجح أخرق القانون. لكنني لا أعتقد أنك سوف ترفعين دعوى، لأنني لا أظن أنك كنتِ سعيدة جداً حيث كنتِ».

ارتسم على محيّا شانون تحدّ غاضب، فيما انتشلت رسغها من قبضته. علّقت قائلة: «أنت واثق جداً من نفسك».

راقبها كاين وهي تمسّد رسغها، حيث كانت أصابعه ضاغطة، ورأى العلامات البيضاء تختفي رويداً رويداً بينما أخذ الدم يرجع إلى العروق.

- هل سببت لك الأذى؟

في الواقع، لم يقصد كاين ذلك. أضاف: «أنا آسف. لكن كما قلت مسبقاً، لا أظن أنك بدوت قوية بما فيه الكفاية».

- حسناً! هذا ليس صحيحاً.

طمأنته شانون، وهي غير قادرة على التعامل مع تساؤلها الدائم عمّا إذا كان يهتم لأمرها ولو قليلاً، ثم أضافت بكل ثقة: «أنا قادرة على استعادة قوتي، كاين».

صرّح كاين، فيما بدأت شانون تبتعد: «ربما، لكنك لستِ منيعة».

وأضاف: «أنا لا أجبرك على العودة إلى المنزل، فذاك قرار يجب عليك اتخاذه بنفسك. لكن أباك ليس بخير».

- أليس بخير؟

كانت شانون قد وصلت إلى الدرج المؤدي إلى المطبخ، لكن فور سماعها ما قاله، استدارت وقد بدت فاتنة جداً، برأي كاين، حتى بقميصها الحمراء التي تحمل صورة ثور، وسروالها الضيق الأبيض المقصوص الذي يبدو أنها وجدته في حجرتها. بدت عيناها واسعتين وقلقتين، كما ظهر تغضن بين حاجبيها المقوسين الجميلين، والمثاليين بالفعل. أردفت قائلة: «سألتك مسبقاً عن حاله، ولم تقل...».

- حالته لا تهدد حياته.

قاطع كاين كلامها، متسائلاً ما إذا كان الارتياح هو الذي جعل كتفيها

النحيلتين تتدلّيان، فيما جلست فجأة على مسافة آمنة على الأريكة في الجهة المقابلة له. تابع: «لكن قد تصبح حالته خطيرة إذا استمر على هذا المنوال، وهو قلق عليك قبل أي شيء آخر».

- ماذا تعني؟

استفسرت شانون منه، مستعينة بأملها الموجع، إذ لربما يحمل والدها بعض المشاعر تجاهها بعد كل شيء. كررت سؤالها: «ماذا تعني... بأي شيء آخر؟».

أجابها كاين بوجه عابس: «أعني الخسارة الفادحة التي تكبّدتها الشركة طوال السنوات القليلة الماضية. ألم تعرفي؟».

- لا.

قبل أن ترحل شانون، كانت تدرك تماماً أن الأرباح تتناقص، لكنها افترضت أنه ليس بالأمر الذي يمكن كبحه من دون شد الحزام.

- بحق السماء، شانون! أعرف أن الأمر لا يهمك كثيراً، إلا من ناحية تمويل أسلوب حياتك المترف، لكنني ظننت أنك سوف تُظهرين عاجلاً أم آجلاً ميلاً للاهتمام على الأقل.

أجفلت شانون كأنها ضُربت بسوط، لأنها في الواقع تهتم كثيراً. صحيح أن الشركة هي التي وفّرت لها أسلوب الحياة المترف الذي أشار إليه كاين، لكنها هي التي موّلت دراستها التي أعطتها فرصاً يحلم بها كل أترابها. لاسيما أن أمها في خلال حياتها القصيرة، وبطريقتها الخاصة - بالإضافة إلى أبيها - قد ساهما في تقدم الشركة وعملا لصالحها. لهذه الأسباب فحسب، كان نجاح الشركة أو فشلها مهماً جداً بالنسبة لها.

قالت بإصرار: «ما الذي يفترض بي أن أعرفه بعد؟».

قال كاين بتجهم: «كان على وشك الوقوع في مشكلة كبيرة. الاستراتيجية الجديدة لم تنجح. أنا عرفت ذلك وتوقعته منذ سنين عديدة، لكنه أبى أن يستمع إلي، أو أن يرى الأمور من الناحية المنطقية، لهذا غادرت».

هل كان كاين بهذه الحذاقة؟ بهذه القدرة على بُعد النظر؟ ارتجفت

شانون قليلاً فيما خمّنت أنه كذلك على الأرجح. قالت: «إذاً، ماذا حدث؟».

تابعت بنبرة قاسية: «هل رحّب بك بذراعين مفتوحتين كي تتوقع له المستقبل مرة أخرى؟».

أجابها بنبرة خشنة: «اتصل أبوكِ بي، لأنه كان محبطاً».

- لا بد أنه كذلك!

ندمت على محاولتها التافهة للسخرية منه. إذاً، كاين لم يعد إلى شركة بوفيير زاحفاً. رانولف هو الذي تقرّب إليه! كاين ليس تابعاً سابقاً فحسب، بل إنه تجرأ على هجر رانولف، وهذا ما لم يُسمع به مسبقاً!

- طلب نصيحتي، لأنني أعرف كل ما يدور في شركته، وأمل أن أتمكن من انتشالها من الغرق.

فكرت شانون في سرّها، كان يجب أن أكون هناك، عرفت أنها كانت ستفعل لو أن أباها أخبرها ولو مرة أنه يحتاج إليها، بدلاً من أن يرفض الإقرار بقدراتها، وبدلاً من أن يهينها وينتقدها دوماً.

- وهل فعلت؟ هل ساعدته في انتشالها من الغرق؟

بالرغم من أنها لم تتمكن من إخفاء نبرة الاستياء من صوتها، فقد ظهر قلق حقيقي وراء سؤالها هذا.

- لربّما فعلت لو لم تكوني غائبة أثناء حصول ذلك. لو كنتِ مهتمة قليلاً بكل ما يحدث...

أجابته بجدية: «كنت كذلك أو... حاولت على الأقل».

تابعت: «لكن ربما لم تلاحظ أنت ذلك. أبي لم يسامحني قط لأنني فتاة، فقد رغب في إنجاب صبي كي يسانده، ويستمر في إدارة الشركة، وفي رفع اسم بوفيير عالياً. جل ما أراده مني هو الزواج برجل ملائم، ولم يكن قط مهتماً بآرائي ومعتقداتي».

ظهر انفعال ملفت على وجه كاين الرجولي القوي، انفعال جعل عضلة تنفر في فكه، وتجهم يظهر بين حاجبيه السوداوين الكثيفين. بعدئذٍ، قال بهدوء: «أخبريني المزيد».

لبرهة طويلة، تشبثت تانك العينان الزرقاوان بعينيه، وكأنه طلب لتوه أن تصحبه إلى رحلة تجوب الكواكب. قالت شانون مع ضحكة خفيفة: «أخبرك أنت؟».

أضافت: «لن توصل اقتراحاتي له البتة. سوف يكتشف مصدرها على أي حال. وحتى لو لم يفعل، إذا لم تتطابق أفكارك مع أفكاره، سوف يقوم بما يأمره به عقله، وسترحل مجدداً».

- لا!

بدا كاين واثقاً جداً إلى حد لا ريب فيه. سألته شانون: «لماذا؟».

تابعت سؤالها بنبرة قاسية: «هل الأجر مرتفع جداً إلى درجة تجعلك تضبط لسانك هذه المرة؟».

بدا الأمر لكاين كأنه يُلسع بنبات القراص. أخذ جلده يخزه من ملاحظاتها اللاذعة المستمرة، إلا أنه لم يدرك مدى المرارة التي تشعر بها شانون ومدى حدّة مشاعرها. بدا واثقاً من أن بوفيير ساهم إلى حد كبير بهذا. قال: «سوف يستمع أبوك لي».

بدا واثقاً جداً، ومطمئناً جداً، وهو ينتظر أن تخبره. وهذا ما فعلته، معبّرة عن رأيها بشأن كيفية جذب الزبائن، مقترحة وسائل جديدة وبديلة تخص السوق التجارية التي لم يفكر رانولف في أن يجربها، فقالت: «كنا واثقين جداً من اسمنا، وصرنا راضين تماماً عنه، بحيث لم نعد نطوّر شيئاً. ما من شركة يمكنها تحمل ذلك».

أكملت شانون، مشيرة إلى نقاط أخرى اعتقدت أنه يمكن دفعها قدماً، فيما كان كاين يستمع بصمت وبانتباه شديدين، من غير أن يقاطعها كما كان أبوها ليفعل. أعطاها كاين الوقت والمجال الكافيين لتعبّر عن آرائها، وكأنها مهمة جداً بالنسبة إليه.

بالرغم من ذلك، فكرت شانون أن كاين ما زال أحد المدراء المأجورين عند أبيها، وأن رانولف بوفيير له الكلمة الأخيرة، بغض النظر عن رأي كاين فالكونر. مع ذلك، لم يُشعرها أحد من قبل قط أن كلامها قيّم. أحبّت الشعور، حين استطاعت أن ترى الإعجاب على محيّا كاين

حالما انتهت من كلامها.

- أنتِ مليئة بالمفاجآت. أليس كذلك؟

علّق كاين، وهو يجلس هناك يتفحصها.

- هل أنا كذلك؟

همست شانون، وهي تشعر بالدفء يتسلل بلطف إلى أعماقها على إثر تركيزه القوي. سألته متحدية بهدوء: «وماذا كنتَ تتخيل؟».

وتابعت: «هل ظننت أنني غير قادرة على تنظيم شيء أكثر صعوبة من طلاء الأظافر؟».

حين اقتصر جواب كاين على التواء فمه الصارم، أضافت شانون بارتعاش: «حسناً! ثمة المزيد بعد، كاين فالكونر».

- ماذا؟

فجأة، وقف كاين على قدميه. وقال: «أهي ملاحظة ذكية...؟».

راقبته من تحت أهدابها وهو يتوجه نحو الستيريو.

التفت كاين مجدداً، وقال: «أم أن هناك المزيد من المفاجآت؟».

- الإثنان معاً.

إذاً كاين لا يأخذها على محمل الجد بعد كل شيء. فكرت شانون عاجزة يائسة، حين استدارت ورأت علامات المرح تلوي شفتيه. أضافت: «لم أضيع وقتي سُدى منذ أن غادرتُ المنزل».

- أستطيع أن أتخيّل.

غمغم كاين بذلك، ولوى فمه بسخرية، فيما راحت موسيقى «بتي سويت» تملأ الصالون بنغماتها.

لا! لا يمكنكَ. أجابت شانون بصمت، متسائلة عن سبب الألم الفظيع الذي تشعر به في داخلها. كاين ليس سوى موظفاً لدى أبيها في العمل، مع ذلك، فإن رأيه بها هام جداً بالنسبة إليها. غمغمت بصوت عالٍ: «لما قلتَ هذا... لو أنك تعرفني حق المعرفة».

- لما...؟

تلك النبرة الكئيبة في صوتها جعلت كاين يلتقط أنفاسه. أراد أن

يتعرف عليها أكثر، ويرسم على شفتيها تلك الابتسامة الصغيرة التي تنم عن الرضى. ليتها تعرف ذلك!

لبرهة طويلة كافح كاين رغبته في أن يقطع المسافة التي تفصلهما، ويسحبها عن تلك الأريكة، ويأخذها بين ذراعيه ليعانقها كما لم يعانق من قبل امرأة في حياته. شعر بيديه تنقبضان على جانبيه، فيما كافح ليهدئ أنفاسه، متمنياً لو أنه لم يشغّل تلك الموسيقى اللعينة. إنها موسيقى هادئة ومدغدغة للحواس، حتى إنه لا يتخيّل أنه يستطيع أن يستمع إليها، ويبقى في الغرفة نفسها مع شانون. أطلق شتيمة في سرّه، قبل أن يبتعد، متجهاً إلى أسفل الدرج نحو حجرته، تاركاً شانون مع الحقيقة المرّة التي أدركتها للتو... حتى إمكانية تعرّفه عليها هو أمر بغيض بالنسبة إليه.

٦ ـ ساحرة في ثوب ملاك

وقفت شانون على سطح اليخت، وهي ترتدي إحدى قمصان كاين فوق سروال ضيق وجدته في الخزانة. راحت تعطي كاين التوجيهات بغية إرشاده، فيما غيّر اتجاه اليخت بحذر بين المركبين الآخرين الراسيين قبالة الرصيف. عندما أمرها كاين، طرحت شانون المرساة بسرعة نحو الرجل الذي كان ينتظر على الرصيف.

- كيف تستطيع، بحق السماء، أن ترسو في تروبيز؟

هذا ما سألته شانون لكاين مسبقاً.

- علاقات اجتماعية.

ذلك ما قاله كاين بجفاء، فكان عليها أن تكتفي بهذا الجواب.

والآن، فيما توجه كاين إلى مؤخرة المركب كي يساعد في شد خيوط المرساة، متعت شانون نظرها برشاقة جسده وقوته. بدا لون ساعديه الداكنين مناقضاً للون قميصه البيضاء غير الرسمية، التي تعانق سرواله الباهت الأنيق. فجأة، نظر كاين إلى الأعلى نظرة فضولية وحذرة بعض الشيء، فحوّلت شانون نظرها بسرعة إلى الرجل الكهل الأسمر البشرة الذي كان يساعدهما في شد حبل المرساة. ارتسمت على محيّا هذا الأخير ابتسامة عريضة مشعّة. قابلتها شانون بابتسامة متحمّسة مماثلة، هرباً من سحر كاين المهلك. حين حدقت بكاين مجدداً، بدا متجهم الوجه، ما أثار استغرابها.

يحتفظ منتجع ريفييرا ببريقه في كل الأوقات. من يخوته البيضاء اللامعة، وطرق التنزه فيه بمحاذاة الشاطئ، إلى القبّة الصفراء المميّزة لبرج الساعة، التي رأتها شانون من فوق سطوح المباني البيضاء

Breathless

والصفراء. لكن تلألؤ المياه هو ما حبس أنفاسها، فكيف بنقاء البحر والسماء؟ منظر الطبيعة الخلاب أعاد إليها عافيتها قليلاً بعد التأثير القوي لجاذبية كاين عليها، وذلك قبل أن يصعد هذا الأخير إلى متن المركب.

علّقت شانون موجهة كلامها إليه: «يا له من نور ساطع مذهل!».

بدت أشعة الشمس المنعكسة على المباني ساطعة جداً، أما ألوان الطبيعة فبدت صارخة تماماً.

- لهذا، ظل غوغان، وفان غوغ، وغيرهما الكثيرون يأتون إلى هنا لسنوات، لأنهم افتتنوا بتلك الروعة، مثلك تماماً.

على الأرجح أن الرسامين لا يزالون يقصدون المكان، كما فكرت شانون، وهي ترى حاملات اللوحات منتشرة على طول الرصيف. سألها كاين فجأة: «هل تنظرين إلى كل رجل وكأنك تريدينه أن يعانقك؟».

سؤاله، جعل رأسها ينتفض إلى الجانب الآخر، كما جعل شعرها يتموج متلألئاً على كتفيها.

- ماذا؟

- هل تظهرين لكل رجل رحابة الصدر نفسها التي أظهرتها لستيفان؟

عبست شانون. بالطبع، كاين لا يشير إلى الابتسامة البسيطة التي تبادلتها مع ذاك الرجل!

قالت مرتجلة كلماتها: «لا أعرف عمّا تتكلم».

- ألا تعرفين حقاً؟

رسم على محيّاه خطوطاً صارمة، وأكمل: «لا أصدق أنك تفعلين. هل أنتِ جاهزة؟».

شعرت شانون بالارتياح لوصولهما إلى الشاطئ، وهي تتجوّل على طول الطرقات الضيقة التي تعود إلى القرون الوسطى، بمقاهيها والمتاجر النسائية. فجأة شعرت بالسعادة تغمر قلبها، فوجدت نفسها توافق على اقتراح كاين لتناول القهوة معاً.

تبيّن أن اختياره هو عبارة عن مقهى صغير بسيط.

- كعكتان بالزبيب، من فضلك.

سمعت شانون كاين يعلن عن طلبه عند المنضدة، فيما وجدت لنفسها مقعداً بمحاذاة النافذة، مستمعة إليه وهو يكمل حديثه مع النادلين. فشعرت بالخجل من جراء تمكنه من اللغة، فيما تملك هي تاريخاً فرنسياً!

كان النادلان الشابان يضحكان سوياً على شيء ما يقوله، ومن خلال تصرفاتهما، والطريقة التي راحا يرسلان فيها نظرات صريحة باتجاهها، بدا من الواضح أنهما يتكلمان عنها.

- أقدر ذوقك.

استطاعت شانون أن تفهم ما يقوله أحدهما لكاين، فيما أضاف الآخر: «وهو لا يعني ذوقك بالقهوة فحسب».

بالرغم من أن شانون لم تستطع أن تسمع جواب كاين، إلاّ أن الدفء غمرها لسماعها رجالاً آخرين يعبّرون عن تقديرهم لها أمامه.

سألته حين ذهبا إلى طاولتهما ليجلسا متواجهين: «هل تأتي إلى هنا في أغلب الأحيان؟».

من الواضح أن تلك الزيارة ليست الأولى له إلى هذا المقهى.

قال: «على قدر المرّات التي آتي فيها إلى تروبيز».

- ألست قلقاً من أن يتعرف علي أحدهم، فتمرغ سمعتك بالتراب؟

ذكرها كاين: «لِم سأشعر بالقلق؟ نحن لسنا حبيبين. أليس كذلك؟».

- لحسن الحظ، لا!

قالت شانون ذلك، شاعرة بالامتنان لأن أحد الخدم تقدم إلى طاولتهما مصطحباً معه القهوة إلى جانب سلة ممتلئة بالمعجنات المحشوة بالزبيب، كان كاين قد طلبها، وهذا ما شتّت انتباهه عنها، وعن شعور البؤس السخيف في داخلها. وكأنه سيقلق إذا ما ثرثر الناس عن تواجده معها، أو إذا ما قالوا أي شيء عنه!

- قدموا لنا أربعة من هذه بدل اثنتين. يبدو أنك سكبتِ سحراً على هذين النادلين المسكينين.

أضاف كاين: «تلقيت مكالمة منذ قليل وفيها دعوة لتناول الغداء.

www.rewity.com

يتوقعوننا عند منتصف النهار».

- يتوقعوننا؟

استفسرت شانون، وهي تحاول أن تخفي دهشتها خلف ابتسامة غافلة وجّهتها للنادل.

أكد كاين وهو يبدو منزعجاً قليلاً: «نعم. يتوقعوننا».

رمق الرجل الفرنسي بنظرة استخفاف، وأضاف: «لا أظنك تعتقدين أنني سأدعك تسرحين في شارع تروبيز من دون أن أرافقك».

- لِم لا؟

تماوج شعر شانون كالحرير، فيما هزّت رأسها يميناً وشمالاً، وضحكت. أضافت: «أتظن أنني أحاول إغواء أي رجل ألتقيه؟».

أجاب كاين، متجاهلاً ملاحظتها الساخرة: «ظننت أنك ستحبين التغيير. إلى جانب ذلك، فإن آل كولتانيز هم زبائن أبيك الأقدم، لذا لكِ الحق أكثر مني في أن تتواجدي هناك».

فاجأتها عبارته. فعلى الأرجح، كان رانولف ليصرّ على أن تمتّع نفسها بالتسوّق أثناء اجتماعه بزبائنه. بقدر ما تحرّقت شانون شوقاً لتذهب، وترى أشخاصاً آخرين، وتتكلم معهم، شعرت بالأسى لأن كل شيء رُتب مسبقاً من دون استشارتها. في الواقع، لم يكن لها أي رأي في المجيء إلى هنا منذ البداية!

أجابت بصوت ثابت، متفاجئة لشعورها بالخيبة أكثر من الرضى: «لا يمكنني ذلك. ليس لدي ما أرتديه. لا أستطيع تناول الغداء مع أحدهم في منزله، وأنا أرتدي قميصك وفضلات ثياب صديقتك!».

كانت شانون قد لفّت كمي القميص حتى مرفقيها عدة مرات، وعلى قدر ما أحب كاين فكرة تغطية ثيابه لجسدها الناعم الرقيق، على قدر ما كان عليه أن يعترف أنها بدت ضائعة في ما فُصّل لجسده الذي يفوقها حجماً بأشواط.

أجاب: «هذه ليست مشكلة».

وأضاف: «هذا المكان يعجّ بالمتاجر النسائية، واعتقد أن فتاة مثلك

ستجدها فرصة مثالية لإنجاز ما تريد».

- إن فتاة مثلي... قد...

وضعت شانون قطعة المعجنات التي تناولتها من السلة على فوطتها من دون تردد. رمقته بعينيها الزرقاوين الفاتحتين، ووضعت إصبعها المطلي باللون الأحمر بين شفتيها لتلعق السكر الذي علق به، أضافت بصوت خفيض: «لستُ أملك المال».

- لستِ...

حرّك كاين قهوته بيد ثابتة ظاهرياً، أضاف: «أنتِ وريثة لآلاف الملايين، وتقولين لي إنك لا تملكين المال؟».

- هذا صحيح!

فكر كاين، لابد أنها تمازحه. لم يستطع أن يمنع نبرة الاستخفاف من صوته وهو يرد عليها ببطء: «ألا يدفع والدك لك الفواتير؟».

بدت نبرته ساخرة جداً، ما تطلّب من شانون جهداً جهيداً كي لا تقفز عن كرسيّها، وتغادر المقهى، وتدير ظهرها لانتقاده، كما فعلت مع أولئك الذين صوّبوا أصابعهم نحوها قبله. لكن هذه الحالة مختلفة تماماً. للمرة الأولى في حياتها، شعرت بالحاجة إلى الدفاع عن نفسها وتبرير دوافعها، أرادته من بين سائر الرجال أن ينظر إليها، ويرى شخصاً غير تلك الفتاة الهاوية للمتعة كما تصنّفها مجلات المشاهير، وكما حكم عليها هو.

أوضحت له شانون بهدوء: «لن أملك المال بين يدي إلا بعد بلوغي الخامسة والعشرين».

وأضافت: «ظننت أن حوالتي الشهرية لا تزال جارية. لكنني كنت مخطئة. فقد أوقف أبي البدل الذي أتقاضاه من دون علمي. لم أكتشف ذلك إلا حين عدت إلى برشلونة، ولم أكن بحالة جيدة لأعالج الموضوع، كما ألغى المصرف بطاقتي الأئتمانية».

هذا لأن المشروع الذي باشرت فيه كلفها الكثير من مدّخراتها. أما ما تبقى، فكان عليها أن تستعين به لدفع ديونها.

- أتعنين أنك كنتِ تجوبين العالم...

ثم أكمل كاين، والشك يملأ عينيه: «...من دون أن تزعجي نفسك حتى بأن تتفحصي رصيدك الباقي؟».

أجابت: «لم يخطر ببالي أنني بحاجة إلى ذلك. فقد كان المال متواجداً على الدوام».

- واعتقدتِ أن الأمر سيستمر على هذا المنوال، بالرغم من الهرب بدون أن تُعلمي أحداً بمكانك؟ بالرغم من اختيارك لهجران ديارك؟

آه! ما الهدف من سؤاله ذاك؟ فكرت شانون عاجزة. حسناً! كاين كوّن رأيه مسبقاً عنها، وهو سوف ينسب كل ما ستقوله إلى أفعال طفلة مدلّلة. ما الفرق إذا عرف ما حصل لها أم لم يعرف؟ أصرّت شانون بحدة: «لم أهجر. أُجبرت على المغادرة، لكن بالطبع كنت لأعود لو علمتُ بأن شيئاً ما ليس على ما يرام. أما مادياً، ظننت أن كل شيء يجري كما كان قبل أن أغادر أوروبا، ولم أظن يوماً أن أبي قد يقطع عني المصروف تماماً».

- ما الذي كنت ستفعلينه بهذا الصدد؟ ما كان مخططك لو تركتك في برشلونة؟

- ترك أصدقاء لي منزلهم من دون أن يتوجّب علي دفع الإيجار لمدة مؤقتة، فيما هم يعملون في الخارج. كانت البرادات والخزائن ملأى. وثمة شيء يسمّى العمل لكسب المال، كاين. ظننت أنك سمعت بهذا.

- من الغرابة أنني فعلت.

شبك كاين ذراعيه، وراحت عيناه تسائلان أعماقها.

- لكنك لا تعتقد أن لي صلة بالعمل.

حين لم يبد كاين أي رد فعل تجاه ملاحظتها الساخرة، قالت شانون: «كنت سأحصل على وظيفة... أي وظيفة حالما تتحسن حالتي، فأجني المال الكافي كي أستطيع العودة إلى البيرو».

- إلى بيرز؟

أجابته، وهي تبدو عديمة الصبر معه: «لا، ليس إلى بيرز. بيرز متزوج».

ذلك لم يوقفك في السابق! لم يقل كاين هذا بالطبع، لكن ارتفاع أحد حاجبيه أخبرها أنه يفكر بذلك.

قالت وهي تخبئ ألمها خلف ابتسامة ملتوية: «أنا متنبهة أكثر هذه الأيام».

ومض شيء ما في عيني كاين، شيء من الانتقام الذي كافح كي يسيطر ويتغلب عليه.

- وظهرتُ أنا حينئذٍ، وقد أغواني عرضك لأن تدفعي لي ضعفي المبلغ لأعيدك إلى برشلونة.

بعد عشر دقائق، قال كاين، وهو يمسك بمرفقها بعد أن خرجا من المقهى: «تعالي!».

- إلى أين نحن ذاهبان؟

لم يجبها، إلا أنه أرشدها عبر الممر الضيق للمشاة. كانت المطاعم والمقاهي تنشر كراسيها وطاولاتها على الأرصفة، فيما السكان المحليون والسياح يجوبون المتاجر الكبيرة المتعددة، ويتوافدون إلى داخلها، يسألون عن الفواكه والخضار.

شعرت بالذهول حين أدركت أن كاين يفتح باب أحد متاجر المصمّمين.

- حسناً! لا يمكن أن ندعك تتجولين بهذه الثياب.

قال كاين هذا لها، قبل أن يدفعها قدماً باتجاه مساعدة جذابة المظهر.

بدت تلك المرأة أنيقة جداً. حالما رأت كاين، ارتسمت على محيّاها ابتسامة مشرقة، ثم قالت: «سيد فالكونر!».

هل كاين معروف هنا أيضاً؟

- هلا تُلبسينها على نفقتي؟

تحدث كاين إلى المرأة بثقة كبيرة، وبلغته الفرنسية الرائعة. أضاف: «دعيها تنتقي ما تريده وعلى نفقتي الخاصة».

- لا أريد الرعاية والإحسان منك، كاين فالكونر.

ردّت شانون عليه غاضبة جداً، لأنهما يتناقشان بشأنها وكأنها غير موجودة.

تشدّق كاين بكلامه، مبتسماً بسخرية: «حسناً! هذا سيء جداً، لأن الأمر كذلك فعلاً».

بالسرعة نفسها التي رافقها بها إلى الداخل، غادر فالكونر المكان.

ابتسمت شانون مشوشة الفكر، لكن في داخلها، راحت تستعرّ حنقاً بسبب كاين. هل أتى بالمرأة التي «تعني له الكثير» إلى هنا، وعاملها بالرعاية نفسها التي لاقتها منه؟ أهذه هي الطريقة التي بواسطتها استطاع أن يفتح حساباً حصرياً للنساء في أحد هذه المتاجر؟

وجدت نفسها بمواجهة المساعدة، وهي تسألها بلغة فرنسية أخاذة، ما إذا كانت تستطيع المساعدة.

حسناً! لم لا؟ فكرت شانون في سرها، وقد استحثها شعور مفاجئ بالأذى. إنه يستحق بعض الأسى بعد كل الإزعاج الذي سببه لها، وبعد اللامبالاة التي عاملها بها دائماً.

- نعم، سيدتي.

غمغمت شانون مع ابتسامة غامضة وأخذت تنتقي بعض الثياب المميزة الباهظة الثمن. أمسكت ببطاقة لتقارن سعرها، ثم قالت: «أظن أنني سأجرب هذه القطع...».

حسناً! يا كاين فالكونر! فكرت شانون بخبث. حان الوقت لأردّ لك صنيعك!

* * *

رن الجرس بلطف حين دخل كاين المتجر، فأحاط به على الفور مزيج من رائحة عطر المساعدة، وأريج أوراق الورد المجففة.

- أهلاً بك سيد فالكونر!

قالت المرأة باللغة الفرنسية: «هي جاهزة من أجلك».

وأشارت ذراع ممشوقة إلى غرفة تبديل الملابس، وهي تتكلم، فتزامن إعلانها مع جهوزية شانون.

رُفعت الستائر فيما خطت شانون من مهجعها إلى أرض المتجر. بدا شعرها الأشقر الطويل معقوداً إلى الخلف إلى جهة واحدة ومثبتاً بدبوس فضي، من الواضح أنها انتقته لذلك الهدف، لكنها بدت بالهيئة الأكثر روعة التي يمكن أن تكون عليها، فلم يستطع كاين أن يشيح بنظره عنها، وهي مغطّاة من رأسها حتى أخمص قدميها بالجلد الأبيض الناعم.

السترة القصيرة فوق القميص الفضية القصيرة من دون كمّين أبرزت جذعها النحيل، وهي مزينة بمجموعة من السلاسل الفضية والحلى المعدنية الناعمة. حين استدارت وبدأت تمشي باتجاهه، لاحظ كاين الخيوط المتقاطعة على انثناء وركها، ما جعل نظراته تنساب باستحسان حتى كاحلها النحيل.

- أأنت سعيد سيدي؟

انتقلت المساعدة إلى التحدث باللغة الإنكليزية بسرعة، بعد أن خمّنت أن لغة شانون الفرنسية لا توازي طلاقة لسان كاين بها. أضافت: «تبدو... فاتنة... أليس كذلك؟».

شعر كاين كأن لسانه لجم عن أي كلام مترابط، فهو لم يرَ في حياته أحداً أو شيئاً ساحراً، وفاتناً، وصاعقاً مثلما يرى الآن. كرّر بصوت أجش، فيما بقيت عيناه تعبّان من روعة شانون، ولا ترتويان: «فاتنة!».

أحست شانون برعشة بسيطة حين أدركت التأثير الذي تركته فيه لا سيما من خلال الطريقة التي راحت فيها عيناه الزرقاوان الفولاذيتان تحدّقان بها، مشعلة النار في دمها. فجأة تراءت إلى ذهنها صورة نمر أطلق سراحه من القفص، لكنها نفضت هذه الفكرة جانباً، فيما أحنت ظهرها كي تتناول أكياس مشترياتها.

ابتسمت ابتسامة مشرقة فيما وجهت الأكياس نحوه كي يحملها بنفسه.

حين رأى كاين عددها، خُيل إليه أنها ابتاعت المتجر بأكمله!

- آه!

سُمع صوت خشخشة كيس آخر سارعت المساعدة لتسحبه من خلف

المنضدة، مضيفة: «وثوب السباحة، آنستي».

- ثوب السباحة؟

رمق كاين شانون بنظرة ساخرة متسائلة، فيما أعطته ذلك الكيس أيضاً.

- والآن، كل ما عليك فعله هو دفع الفاتورة.

بعدئذٍ رمته بإحدى الابتسامات المصطنعة الرقيقة.

«هلا تفعل، حبيبي؟» تمنى كاين لو أنه سمع هذه العبارة بدلاً من تلك الأخيرة، فيما أحنت المرأة ظهرها قليلاً كي تباشر بحساب الفاتورة، الأمر الذي أثار بعض الخشية والتشوق في عروق شانون. هل اضطرام الغضب في عينيه سببه المبلغ الذي أنفقته؟ أم أن السبب هو تأثيرها عليه؟ بالطبع! سترد له كل قرش حين تعود إلى المنزل.

آه! ليتها تستطيع أن تقوّض رباطة جأشه الرهيبة، فتجعله مجنوناً بها مثل كل الرجال الذين التقتهم... رجال لا أهمية لهم عندها، ولطالما نجحت في تحاشي صداقاتهم وفي مقاومتها.

- تهانينا!

تلفّظ كاين بذلك حالما خرجا من المتجر. بدا فمه خطاً مشدوداً، بالرغم من أن تلك اللمعة الجامدة في عينيه المشدودتين تجاهها ومضت بالشوق لا بالاستهجان. أردف قائلاً: «تملكين كل شيء ما عدا السوط».

ضحكت شانون بابتهاج، مستمدة قوتها من المظهر الأنثوي الأنيق الذي أعطتها الثياب إياه. وضعت ذراعها تحت ذراعه، فشعرت بلمحة من المتعة في ملامسة ذراعه الدافئة تحت أصابعها. تحرك شعرها بلطف فيما أمالت رأسها تجاهه، وأجابت: «ما حاجتي للسوط، وأنت دائماً معي لا تكف عن جلدي وتوبيخي؟».

ابتسم كاين ساخراً من التلاعب في الكلام، ثم تشدق فيما بدأ يتمشيان قائلاً: «مضحك جداً».

لكن شانون رأت التوتر على وجهه، وشعرت بالصلابة في جسده قبل

أن يشيح بنظره بعيداً بغير مبالاة.

عندما عادا إلى الساحة المكتظة، راح الجميع ينظرون إليهما، ما أشعرها بالإحباط. لكنها شعرت أنها بحالة جيدة، بالرغم من نظرات الحسد التي وجهتها إليها كل امرأة رأتها هناك، وبالرغم من التوق المقلق القوي الذي رأته في عيني كل رجل.

- ما الذي تفعلينه لهؤلاء الشبان، يا شانون؟

إذاً، فقد انتبه! كما فكرت شانون. رأت الاستهجان في عينيه، ذلك الأمر لم يقتصر على الشبان فقط، بل إن الرجال الناضجين شعروا بحقهم أيضاً في أن يرمقوها بنظرات غرامية.

- لا أفعل شيئاً!

ردّت شانون عليه بحدة. وافقها كاين قائلاً: «أنت لا تتعمدين القيام بذلك».

ثم أضاف: «إنه جزء منك... صفة فطرية مثل شعرك الملائكي وعينيك الزرقاوين المعبّرتين. تبدين ملاكاً، لكنك ساحرة شريرة، شانون. تطرحين سحرك على كل رجل مسكين غافل يمرّ بقربك».

- لكن ليس عليك!

يا الله! لو أنه يستطيع أن يعترف ويصرّح... شوقه إليها يدفعه إلى الجنون، كما أن قربه منها يفقده صوابه. أجاب بتوتر: «لا، ليس علي».

حالما عادا من نزهتهما كانت بانتظارهما سيارة مرسيدس بيضاء ضخمة، مجهّزة مسبقاً على ما يبدو، يقودها رجل اسمه ستيفان، كان يقف على الرصيف منذ مدة.

بدأ كاين يقول: «عمل ستيفان لآل كولتانيز لأكثر من عشرين سنة».

شرح ذلك لشانون من مكانه في المقعد الأمامي، فيما أخذت السيارة تصعد التلال الخضراء العالية. وأكمل قائلاً: «عن طريق الصدفة، أصبحنا أصدقاء. في الواقع، هم الأقرب إلى عائلتي، كما أنهم شركاء في العمل أيضاً».

لاحظت شانون في صوت كاين نبرة حذرة، وتساءلت عن السبب.

ألا يثق بأنها ستتصرف بشكل لائق؟ هل يفكر أنها ستجعله يشعر بالاحراج بسبب ماضيها والأشياء الفظيعة التي كتبتها الصحف عنها؟ أدركت شانون أنها في نظر كاين وفي عيني كل شخص آخر، لا تزال تلك الفتاة التي دمّرت زواجاً، والتي باتت مسؤولة عن فقدان امرأة بريئة لجنينها بصورة مأساوية. لكن، من الجنون أن رأي كاين هو الذي يهمها من بين سائر الآراء. وفيما كانت تجلس خلف إطار كتفيه العريضتين مع كل مشترياتها على المقعد بقربها، تساءلت بحزن عن سبب تورطه بخطفها فعلياً كي يحاول إقناعها بالعودة إلى المنزل. هل الربح المادي هو السبب بكل بساطة؟ هل يفكر في أن يفوز بحظوة لدى رانولف بوفيير؟

أنبأتها غرائزها أن كاين ليس رجلاً يحتاج إلى حظوة لدى أحد. ما الأمر إذاً؟ أتراه يهتم لأمرها حقاً؟ إن كان الأمر كذلك، لِم لم يتصل برانولف ويخبره بمكانها بكل بساطة، بدلاً من أن يصطحبها معه؟ قال إنه لم يتعمد القيام بذلك، لكن هل كان حقاً يريدها أن ترافقه على متن اليخت؟ هل تراه يريدها؟ لماذا السبب الذي يجعله يفرض تلك السيطرة الصارمة على نفسه؟ أهي سمعتها، أم تلك المرأة التي جلبها معه إلى برشلونة؟

كانت معنويات شانون قد أخذت بالانخفاض كثيراً حين وصلا إلى مقصدهما، الذي تبيّن أنه فيلا واسعة بمحاذاة الشاطئ تطل على مناظر رائعة. كانت الأزهار تفيض من شرفاتها، والنبات المتعرش يتسلق حيطانها البيضاء.

- تفضلي!

دعاها كاين، وهو يفتح باب السيارة بتهذيب، عرفت أنه يعامل به كل امرأة أخرى. نصحها قائلاً: «اتركي أغراضك هنا. يمكنك استرجاعها حين يعود ستيفان بالسيارة في هذا المساء».

وفيما غادرت المرسيدس، ظهر شخصان من الفيلا: رجل وامرأة، بالإضافة إلى كلب اسكتلاندي نشيط أخذ يعدو أمامهما. أحست شانون بكتلة علقت في حنجرتها. سوف تشكّل مع كاين صورة لائقة، هذا ما

وعدت نفسها به. لن تخذله!

توقف كاين قليلاً كي يربّت لذلك الكلب الصغير، متمتماً ببضع كلمات: «مرحباً باكستر... أيها المتلاعب!».

من الواضح أنه أحب ذاك الكلب، على قدر ما أحبه الكلب.

- كم أنت محبّب!

ضحكت شانون، فيما حوّل الكلب اهتمامه بسرعة نحوها. راح الزوجان يدعوان الكلب للعودة. سوّت شانون هيئتها، فيما اقتربا وألقيا التحية على كاين بحرارة، فعانقته المرأة عناقاً خفيفاً، وصافحه زوجها بقوة أيضاً.

- أنا إستير كولتانيز.

امتدت يد نحيلة وقورة باتجاه شانون، ثم قالت المرأة فجأة، قبل أن يتمكن كاين من تعريفهما ببعضهما: «وأنتِ...؟».

- شانون.

- بقلها- ماسون بابتسامة حذره لمقابلته، معجبة بصرا[illegible]، ونقاوة وجهها المحاط بشعر أشقر مصفف بعناية، ثم أضافت: «شانون بوفيير».

- آه!

أحست شانون للحظة واحدة فقط، وكأن شيئاً ما قتم اللون الرمادي لعيني إستير اللتين انزلقتا لا إرادياً باتجاه كاين. لكن بعدئذٍ، عاد ذلك القناع إلى مكانه، وبعد أن بدت مرتاحة مجدداً، قالت بلطف: «أهلاً بكِ في منزلنا، شانون».

سمع زوجها كلمات الترحيب، وهو رجل قوي البنية في الخمسين من عمره، ذو شعر فضي لامع. لم يتوانَ قط عن أخذ يد شانون بين يديه وشد قبضته عليها. بعدئذٍ قال لها بصوت خفيض وبنبرة تآمرية ساخرة: «أنا بارت، بارتولوميو، كولتانيز. مهما قال الجميع لكِ عني، يؤسفني أن أخبرك أنه صحيح بالكامل، وأنا سعيد جداً بالتعرف على ابنة رانولف المحببة».

كان بارت يغازلها على طريقته، كما أدركت شانون، فضحكت تماماً

www.rewity.com
Breathless

كما فعل الجميع، قبل أن يتركها الرجل، وقد لفت انتباهه الكلب الذي بدأ يقفز عليها، وينبح كي يثبت وجوده.

قالت إستير، وهي تغمز شانون غمزة ودية: «أنا آسفة».

تابعت معتذرة، محاولة كبح باكستر النشيط: «إنه لا يتصرف هكذا مع الغرباء أبداً».

وأكملت: «لا بد أن هناك انجذاباً وألفة أو شيئاً ما بينك وبين الحيوانات».

- أو شيئاً ما...!

غمغم كاين بذلك على مستوى كتف شانون، فسمعت تلك الملاحظة الخفية المعنى قبل أن يدعوهما بارت للدخول إلى المنزل.

- حسناً! هي ساحرة على هيئة ملاك.

سار مضيفهما خلفهما وهو يحمل الكلب، أما إستير، فقادتهما إلى غرفة الجلوس التي يتلاعب فيها الهواء. فجأة، شعرت شانون بالشعيرات على مؤخرة عنقها تقف من جراء نبرة كاين المنخفضة الإنتقادية الهادئة. لم يكتف بهذا، بل أضاف: «أما من أحد... أو شيء حتى، بمأمن من مفاتن سحرك تلك؟».

ها هو كاين يحمّلها مسؤولية خطأ لم تقترفه، خطأ لم تستطع السيطرة عليه. جعلها ذلك متشوقة كي تنزله عن عرشه المتعالي. تمنت أن تخرق تلك الطبقات الخارجية لرباطة جأشه الفظيعة، التي يعتقد أنها تحميه من مشاعره الحقيقية، وأن تراقبه وهو يعترف بخطئه.

أدارت شانون رأسها إلى الخلف فوق مستوى كتفها، قبل أن تجيب عن سؤاله: «ألا يكفي أنك أنت في مأمن؟».

٧ ـ أذيال التهوّر

تعيش عائلة كولتانيز على شاطئ الريفييرا الفرنسي منذ عشر سنوات. انتقلت إلى هناك حين باعت قطعة أرض واسعة إلى رانولف بوفيير. هذا ما عرفته شانون حين كانوا يستمتعون بالشراب الشهي قبل تناول الطعام في غرفة الجلوس الفسيحة المريحة.

جلست شانون بجانب إستير على إحدى الأرائك، مستمتعة بمنظر الحديقة. استطاعت أن ترى طاولة ذات زجاج لامع معدة للعشاء موضوعة قرب شجرة ذات أوراق حمراء داكنة، كذلك رأت المسبح الهادئ الأزرق.

- عرفنا كاين منذ نعومة أظفاره.

أكملت المضيفة حديثها عن كاين الذي تناول خلفية حياته، ووالديه، وكيف أصبحا جيراناً لهم في إنكلترا قبل أن يفاجئهما الانهيار الثلجي ويزهق روحيهما، أثناء قيامهما بالتزلج.

- هذا مؤسف!

ظهرت الصدمة في عيني شانون اللتين صوبتا نظراتهما باتجاهه، ثم قالت: «لم أعرف...».

علّق كاين بلطف من الجانب الآخر من الغرفة: «ألم تعرفي؟».

تشبثت نظرتها بنظرته بعطف شديد لمدة طويلة. إذاً، هو أيضاً عرف قسطاً من البؤس ومن الألم في حياته. لم تلاحظ شانون النظرة المتسائلة التي تبادلتها مضيفتها وزوجها. بارت الجالس على كرسي مريح بالقرب من كاين، هو الذي قطع الصمت البسيط الحميم، حين تنحنح وسأل: «إذاً، ما هي أخبار رانولف العجوز هذه الأيام؟».

بدا السؤال موجهاً إلى شانون، ومن دون أن تدرك، وجدت نفسها تفتش متلعثمة عن جواب شافٍ. بالطبع هي لن تخبر هذا الثنائي اللطيف، أنها لا تعرف شيئاً عن أبيها. أخيراً، قام كاين بإنقاذ الموقف بخفة.

- كان بخير قبل أن نتركه. هو يعمل أكثر مما ينبغي، لكننا ننوي أن نخفف مسؤولياته في المستقبل. أليس كذلك، شانون؟

ابتسم لها كاين بتهذيب، فقابلته شانون بابتسامة مماثلة. افترضت شانون أنه يعني: سوف آخذك إلى المنزل مستخدماً كل ما أوتيت من قوة، إذا اضطررت لذلك. فكرت بمرارة: سوف آتي معك، لكنك أنت من سيسقط أولاً قبل أن أنصاع إلى أوامرك، وقبل أن تحصل على جائزتك الصعبة المنال لخدماتك!

خطوات خفيفة سريعة سُمعت في الممر، تعلن وصول فرد آخر من أفراد العائلة. إنه شابة نحيلة، سوداء الشعر، في السابعة عشرة من عمرها تقريباً، حسبما خمّنت شانون. بدت ملامح وجه الفتاة محمرة ومتحمسة، وهي محاطة بشعرها المتوسط الطول، غير المرتب. اتجهت على الفور نحو ضيف آل كولتانيز الفائق الأناقة، وكأنه الشخص الوحيد في الغرفة.

- كاين!

رأتها شانون وهي تطرح ذراعيها حوله، في حين أن كاين بالكاد وقف على رجليه.

- إميلي!

بعد أن لامست ذراعا كاين إميلي في عناق سريع، حرّر نفسه منها. لاحظت شانون أن وجه الفتاة صار غامق اللون أكثر. كما لاحظت أن أميلي ترتدي فستاناً قصيراً جداً. قالت إستير لشانون، وهي تقف: «هذه ابنة أخ بارت».

وأضافت: «ستبقى معنا طوال مدة غياب أهلها في لندن».

اتسعت عينا الفتاة البنيتان من شدة التأثر، فيما قامت إستير بالتعريف عن ضيفتها قائلة:

- شانون بوفيير.

سألتها الفتاة بحماس متّقد: «ما هي أخبارك في الأيام الأخيرة؟ إذ إنني لم أقرأ عنك شيئاً منذ أعوام!».

ساد السكون في الغرفة، واستطاعت شانون أن تشعر بعدم الارتياح يظهر على وجهي الزوجين. ابتسمت بقلب متسامح، محاولة أن تخفف من اضطرابهما: «يؤسفني القول إنني لم أقم بشيء يستحق الذكر».

- أمضت شانون بعض الوقت في البيرو.

دعم كاين إجابة شانون بتلك المعلومة، وهو يقف هناك، بجاذبيته الطاغية، التي لم تخفَ على أي امرأة في الغرفة. هذا ما اعتقدته شانون.

- البيرو! أحقاً؟

رشقت إميلي الكلمات من فمها، راسمة ابتسامة ساحرة نحو الضيف، ثم أضافت بحماس: «مع كاين؟».

بدت ضحكة كاين ساحرة جداً. أجاب بإيجاز: «لا! ليس معي».

بالطبع، كاين لن يدع أحداً يظن أنهما ثنائي منسجم. فكرت شانون بذلك متألمة.

- أردت الذهاب معه ومع صوفي على متن اليخت لكنه لم يسمح لي بذلك.

أخبرتها إميلي بذلك، وهي تقلب شفتيها باتجاه كاين، فبدت بذلك فتاة ساحرة من جهة، وطفلة وقحة من جهة أخرى. هدأتها إستير بكل عزم، إذ قالت: «عرفت يا إميلي أنه لم يلتق بصوفي منذ مدة، وأنهما كانا بحاجة إلى البقاء بمفردهما لبضعة أيام».

بالطبع! صحبة مراهقة ملتاعة من الحب سوف تعيقه عن تحقيق أهدافه. أخذت شانون تفكر بقلب حاقد مستاء، وهي تشعر بمخالب الغيرة تخدشها بوحشية.

بدا أن كاين هو الوحيد الذي لاحظ عليها ذلك، فلامست عيناه بتساؤل ملامحها، التي غلفتها بقناع مبتسم وجامد. أحست شانون بالامتنان حين دخلت خادمة، وأعلنت بهدوء جهوز وجبتهم.

وُضعت وجبة الغداء في الهواء الطلق، وهي عبارة عن لحوم باردة،

ومأكولات بحرية، وأنواع متعددة من السلطات، قُدمت على شرفة مغطاة بالدوالي.

- ألن تجلس بقربي؟

بهذه الكلمات، دعت إميلي كاين، وهي تمسك بذراعه كأنه ملكها منذ أن توجها إلى الخارج.

ثم أضافت: «وأنتِ شانون، اجلسي إلى جانبي الآخر. فأنا أريد أن أتكلم معكما معاً».

هذا ما فعلته شانون أيضاً، فجلست إلى الطاولة الكبيرة المستديرة بين إميلي ومضيفتها، فيما استطاعت تلك المراهقة، بالرغم مما قالته عن مشاركتها الحديث مع كليهما، احتكار انتباه كاين.

هل كانت هي كذلك حين كانت في السابعة عشرة من عمرها؟ تساءلت شانون، وهي تشعر بالأسف تقريباً تجاه المراهقة. لا عجب إذا لم يكن لدى كاين الوقت الكافي لها، لو كانت كذلك حقاً!

بعد أن طرحت إميلي على شانون أسئلة غير متوقعة من كل حدب وصوب، صاحت الفتاة فجأة بعاطفة توّاقة: «آه شانون! حبّذا لو أبدو مثلك! ما الذي تشعرين به حين ينصاع الرجل لرغباتك، فتصيّرينه قطة تأكل من راحتي يديك؟».

وبختها إستير بهمسة ملؤها الصدمة قائلة: «إميلي!».

كافحت شانون بقوة من أجل الحفاظ عَلى توازنها، شعرت بارتفاع في حرارتها بالرغم من خلعها لسترتها وغمغمت بإنزعاج تام، ثم ضحكت ضحكة بسيطة، متمنية لو أنها في مكان آخر. ثم أضافت: «أتمنى أحياناً لو أنهم يستعملون الأطباق».

أرادت أن تمزح بهذه الكلمات، لكنها بدت بذلك تافهة ومتظاهرة. شعرت بالإحباط والخيبة لأنها سمحت لتلك المراهقة بتقليص احترام الذات الذي اكتسبته بصعوبة.

التقطت شانون ومضة تحذير طفيفة جداً من تينك العينين الزرقاوين العازمتين. حسناً! لن يغيّر ذلك من الواقع. فكرت بذلك بحرارة راحت

تزحف إلى أعلى حنجرتها. شعرت برأسها يرتفع أكثر، فيما أدركت أنها تريد استفزازه، وزعزعة تماسكه بوقاحتها. يكفي أن تجعل الآخرين يظنون أنه حبيبها.

ظلّت الفتاة بجانب شانون تفيض بالكلمات بحيوية متزايدة: «آه، شانون! أنت ذكية جداً، فكيف تُكتب تلك الأشياء عنكِ!».

أجابتها شانون بهدوء: «إنها أشياء غير جديرة بالاهتمام، أما الطريقة الفُضلى لتقييمها فهي ألا تصدقي كل ما تقرأين».

تحمست إميلي، إذ إنها لم تفهم تأنيب شانون وقصدها، فردّت قائلة: «آه! كم أود قراءتها! أظن أنها... مثيرة جداً للاهتمام!».

وجهت إميلي نظرة ذات مغزى إلى كاين، وأضافت: «أود أن أثير مثل تلك الضجة يوماً».

سوف تفعلين! فكرت شانون، وقد أحست بهمس المرأة الكبيرة الموبّخ. إلا أن الفتاة لم تنتبه مطلقاً، إنما وجهت انتباهها بقوة نحو كاين.

عبّرت إستير عن أسفها، ويدها تمتد لترتاح على ذراع شانون: «أعتذر عن تصرف قريبتي. أظن أن والديها لم يحسنا تربيتها جيداً».

- لا بأس. مررنا كلنا بعمر السابعة عشرة.

غمغمت شانون بذلك مقدرة تصرف إستير النزيه تجاهها. جعلها ذلك الدعم الهادئ قريبة من مضيفتها. تبع ذلك حديث بينهما عن فرنسا، واستطاعت شانون أن تلتقط بين فترة وأخرى لمحات عن الحوار السياسي الذي دار بين كاين والرجل الآخر، كما أدركت تماماً أن المراهقة منتبهة لكل كلمة ينطق بها كاين. فجأة ولج أفكارها وابل من القهقهات، قبل أن تقفز إميلي، ثم تقول: «أريد أن أسبح. هيا، شانون! دعينا نغطس معاً».

راحت إميلي تفك سحّاب فستانها، ثم أضافت: «وأنت أيضاً، كاين».

أصرّ كاين باقتضاب، وهو ينظر إلى الأعلى باتجاه المراهقة، نظرة

فيها شيء من نفاد الصبر: «يؤسفني القول إن لدي بعض الأعمال لأناقشها مع عمك».

قالت شانون مع بعض الارتياح: «يؤسفني أيضاً أنني لا أملك ثوباً للسباحة».

وكان ذلك صحيحاً، بطريقة ما...

تدخلت إستير، عارضة كرمها، ولطافتها: «أنا متأكدة من أننا نستطيع إعارتك ثوباً ما».

- لا، حقاً...

ما الذي تستطيع شانون قوله؟

عبر الكرسي الفارغ بينهما، بدا صوت كاين ساخراً، لكنه هادئ، وهو يذكرها: «لقد ابتعت ثوباً للسباحة هذا الصباح، وجلبته معك. إنه في السيارة».

أحست شانون بقلبها يرتجف خوفاً. لِم عليه أن يذكر هذا؟

هذه المرة عبّرت إميلي عن استغرابها، بعينين يراقبين تفيضان فضولاً: «لكم أود أن أراه! هيا ارتديه!».

سرعان ما خلعت إميلي فستانها، فظهر ثوب سباحتها الأسود البسيط المؤلف من قطعتين، مظهراً بدوره قامتها النحيلة. أردفت: «يمكنك أن تبدّلي ملابسك في غرفتي».

تباً لكاين! ضحكت شانون ضحكة بسيطة تدل على الشعور بالحرج، وأجابت: «إنه مخصّص للمركب فقط... أعني لحمام الشمس في...».

اعترضت إميلي قائلة: «ما من ثوب سباحة مخصص فقط لحمام الشمس!».

ثم أردفت بحاجبين مقطبين: «أنت لستِ خائفة من المياه. أليس كذلك؟».

قرّرت شانون ممتنة التشبث بالعذر غير المتعمد الذي قُدّم لها. فذلك أفضل بكثير من القول إن الثوب هو في الواقع غير ملائم. بالكاد فتحت

فاها، حتى قاطعها صوت كاين قائلاً: «من يسبح في البحر مع بزوغ الفجر مع مجموعة من الدلافين هو صديق للمياه بلا شك».

أخبرها أنه أحس باضطرابها، فأخذ يتلاعب على ذاك الوتر كي يستمتع فحسب. أضاف: «سأطلب من ستيفان أن يحضره لك».

وقفت شانون على قدميها، ولم تتمكن من النظر إلى عيني كاين مباشرة، فيما عاد وناولها الكيس الصغير، الذي يحمل اسم المتجر الفاخر.

- شكراً.

بعد قليل خرجت شانون من المنزل، وهي ترتدي ثوب السباحة ذا اللون البرتقالي الغامق. وقفت عند حافة المسبح، وهي توجه نظرها إلى المياه حيث كانت إميلي قد أخفضت رأسها إلى ما تحت المياه، وبدأت تسبح بسرعة مطلقة رشاشاً فيها. لاحظ كاين أنها لم تنتبه حتى للمراهقة، فرباطة الجأش والعنفوان، يسيطران على تلك الفتاة. لكن التوتر أيضاً كان بادياً عليها، من خلال شكل فكيها اللذين أبرزا جمالها. فكت الوشاح الذي يغطيها، فانزلق عن وركيها. هذه الحركة أثارت أحاسيس كاين فعصفت بها الحياة. غيّر مكانه كي يخفف من عدم ارتياحه المفاجئ، فيما شعر بجفاف في حلقه. أطلق صفرة خفيفة لا إرادية في سرّه.

- يا إلهي!

همس بارت بذلك فيما كانت شانون تشق صفحة مياه بركة السباحة، مثيرة حولها رشاشاً من رذاذ الماء.

- إنها امرأة من الجنة، كاين. لو أنها امرأتي... لما ابتعدت عنها لحظة واحدة.

أجابه كاين بثاقل: «نعم».

لم يستطع كاين أن يشيح بنظره عن شانون، فيما ظهرت مجدداً لتستدير على ظهرها برشاقة على سطح المياه، آخذة بالسباحة سريعاً.

كيف يمكنه تركيز انتباهه على أي شيء آخر، ناهيك عن أي عمل،

www.rewity.com

فيما هذه المخلوقة الرائعة تتمايل أمامه بتباه؟ من تراها تظنه؟ تساءل كاين مع شعور بخيبة الأمل. هل تظنه مخلوقاً خارقاً؟ بالرغم من أنه خمّن أنها اختارت ثوب السباحة السخيف الذي ترتديه من أجل إغاظته فقط، فقد شعر بالتأثير الفوري لرؤيتها به بالإضافة إلى الغضب. فكر كاين، لربما كانت تلك غايتها... أن تصيّره كالقطط، فيأكل من راحتي يديها.

لكنها لم تتعمد ارتداء ثوب السباحة هذا أمام الجميع، هذا ما هو متأكد منه. مساعيها لتجنب هذه المسألة أكدت له ذلك، بالإضافة إلى التوتر الذي شعرت به قبل أن تغطس في البركة.

بالرغم من فورة غضبه واستيائه اللذين أثارتهما رؤيته لها، فإن شهامته قدّرت شجاعتها. شانون هي امرأة ذكية، بل هي أكثر ذكاء مما اعتقد. إذا كانت خطتها هي إغواؤه، فما هي دوافعها لذلك؟ هل تريد أن تراه ينهار، لأنه بكل بساطة قال إنه لا يريدها؟ ليساعده الله! بالرغم من عزمه الشديد، شعر أنه قريب جداً من شفير الهاوية.

بعد قليل ظهرت شانون على سطح المياه وهي تتمسك بجانب واحد من البركة. استلقت على صدرها، ثم مسحت المياه عن وجهها، لترى أن كاين يراقبها.

ظهرت إستير وهي تخرج من المنزل، حاملة صينية من القهوة. كانت إستير قد أمضت وقتاً داخل المنزل، وذلك منذ خرجت شانون من غرفة إميلي مرتدية ثوب السباحة، وقد ارتاحت شانون لذلك كثيراً. والآن، وفيما كانت إميلي تعوم بهدوء على ظهرها عند الجهة الأخرى من البركة، شعرت شانون بجسدها ينبض من جراء التوق غير المخفي الذي رأته في عيني كاين.

أدركت بتوتر أن كاين تأثر لرؤيتها، لكنه بدا غاضباً أيضاً. لقد أخجلته أمام أصدقائه وزملائه. حذرتها غريزة تغلغلت في عظامها من أنها لن تُفلت من العقاب بسهولة هذه المرة.

رفعت ذقنها عالياً بتوتر، بفعل الحماس الغريب الذي راح يجري في دمائها. ثم نظرت إلى كاين بثبات، رافضة الإذعان لنظرته المتعجرفة.

قالت إستير لشانون خارج الفيلا بعد ساعة أو ما يقاربها: «لابد لكِ أن تعودي مرة أخرى».

وقفت المرأتان بجانب السيارة المفتوحة الأبواب، تنتظران بارت وكاين للانضمام إليهما. كان الرجلان يتحدثان تحت القنطرة، أما إميلي فاختارت أن تبقى هناك أيضاً، بدلاً من مرافقة المرأتين إلى سيارة المرسيدس.

كرّرت إستير قولها، وكأنها قرأت أفكار شانون: «أنا آسفة بشأن إميلي».

ثم أضافت قائلة: «إنها مفتونة بكاين بطريقة مخيفة ومخجلة في الوقت عينه. آمل أنك لا تمانعين كثيراً؟».

أجابت شانون بنبرة ودودة، وهي تهز رأسها: «لا».

فكرت بانزعاج، ولِم عليّ ذلك؟ فأنا لست امرأة حياته.

- بارت وأنا نشعر بالقلق عليه. إنه مدمن على العمل، بالرغم من أنه لا يبدو مستمتعاً به.

استدارت كل من شانون وإستير لتنظرا إلى الرجل الطويل الأسمر الذي يستمع بصبر إلى شيء يقوله له مضيفه المهذار، فيما ظلّت إميلي تقف محدّقة به مثل صغيرة ظبي جائعة.

قالت إستير بثقة:

- إنه نوع فريد من الرجال.

وأكملت: «بارد هادئ من الخارج، لكنه معقّد من الداخل. هو بركان متفجر أيضاً، إذا ما غضب، بالرغم من أنه لا يغضب في الغالب، ويكرّس دائما الوقت الكافي للأشخاص الذين يحبهم، لاسيما صوفي».

- صوفي؟

سمعت شانون إستير تكمل: «صارت امرأة محبّبة الآن، لكن كاين ما زال يحاول حمايتها. أظن أنه أخبرك، فقد وُلدت طفلة لأم في عمر الكهولة. فكرة إنجابها أتت متأخرة جداً، وكانت تبلغ الثامنة من عمرها حين توفي والداهما».

همست شانون بشك: «والداهما؟».

أجابت إستير، مشيرة بوضوح إلى الانهيار الثلجي: «إنها قصة مروّعة!».

نفضت شانون أفكارها. إذاً صوفي هي... أخته؟ وهي التي ظنت...

- ها هو كاين!

راحت شانون تصارع كي تلجم معالم وجهها، فيما اقترب وبارت منهما. لاحظت أن إميلي متعلقة بذراع كاين كأنها ملكها.

- سوف تأتي وترانا عما قريب مرة أخرى. أليس كذلك، كاين؟

توسّلت إميلي إليه، وهي تسلخ عينيها الكبيرتين بعيداً عنه، لتضيف: «وأنت شانون، عليكِ أن تحثّي كاين كي يأتي بكِ إيضاً».

حاولت شانون أن تضع ابتسامة على شفتيها، لكنها بذلت جهداً. سواء كانت تنتظره حبيبة أم لا فليس من الوارد مطلقاً أن يأتي بها إلى هنا، أو إلى أي مكان آخر بإرادته مجدداً.

جلست شانون بالقرب منه هذه المرة، في مؤخرة سيارة المرسيدس، بعد أن كدّست مشترياتها المتعددة من المتجر النسائي في الصندوق. شعرت بالتوتر يمتد مثل سلك مشدود بينها وبين كاين، لاسيما بعد أن لزم الصمت مسافة الطريق بأكملها، فيما هما عائدين إلى شارع تروبيز مجدداً.

- لم تقل لي إن صوفي أختك.

علقت شانون حين وصلا إلى الرصيف، وهي تسحب آخر الأكياس التي لم يسحبها بعد من الصندوق.

- لم تسألي.

فيما ابتعدت السيارة، استدار كاين فجأة، وأخذ يمشي بخطوات كبيرة مارّاً بالقرب من اليخوت المتنوعة الأحجام، بتصميم قوي، الأمر الذي جعلها بالكاد تستطيع اللحاق به.

أدركت شانون أن كاين ما زال غاضباً منها، بسبب الطريقة التي

تصرّفت فيها في الفيلا. شعرت بعقدة في معدتها حين توقف فجأة، مادّاً إحدى ذراعيه.

بتهذيب - بالرغم من كل شيء - كإيماءة لها كي تسبقه إلى اليخت.

تمنت لو أنها تستطيع أن تقول له إنه يستطيع أن يذهب بمفرده، ويكفّ عن شهامته الغالية، وإنها تستطيع أن تصل إلى منزلها من هناك بمفردها. لكنها لم تستطع ذلك، كما فكرت باكتئاب. كبرياؤها لا تحتمل رفاهية كهذه، لاسيما أن بطاقة ائتمانها سحبت منها، وتبخرت مدّخراتها أثناء محاولتها مساعدة الآخرين، فلم تعد تستطيع تحمّل نفقات سفرة واحدة! أما الاتصال بوالدها والطلب منه أن يخرجها من حالتها السيئة، فيعتبر سحقاً لكبريائها. تمسكت شانون برباطة جأشها كي تستطيع المواجهة، وخطت إلى متن اليخت بتردد.

ضغط كاين بإصبعه على أحد الأزرار ففتح باب البهو. تقدّمت شانون نحو الصالون الفاخر ذي الطابع الحديث. مع انغلاق البابين وراءهما، ابتعد ضجيج النهار وضوضاؤه، فأخذ الصمت المطبق حولهما يضج بحميمية لم ترغب بها شانون. أخذ قلبها ينبض بسرعة كبيرة، فيما قالت بثاقل: «أظن أنني سأستحم».

ما إن مشت بخطى متعثرة على السجادة، واستطاعت أن تصل إلى المطبخ، حتى أحست بأصابع قوية تُطبق على ذراعها معيقة تقدمها، ما جعلها تطلق شهقة.

- ليس بعد. لن تفعلي!

- ماذا تظن أنك تفعل؟

ارتعش صوتها من الخوف، فيما تمايلت بغضب كي تواجهه. شعرت بعقدة في معدتها من جراء التجهم الذي لاقته في تلك الملامح الداكنة السُمرة.

- ليس قبل أن تخبريني بماذا ظننت أن هذا الأداء الذي قمتِ به اليوم قد يفيدك.

ابتلعت شانون ريقها. وأجابت: «لا أعرف... ماذا تقصد!

- ألا تعرفين؟

تابع ساخراً: «هم يأكلون من يديك كالقطط... وبعد ظهر هذا اليوم عند بركة السباحة».

- ماذا؟

ارتعبت شانون فور تذكرها. قالت: «ما الخطب، كاين؟ أنت بالتأكيد لم تشعر بالصدمة؟».

ردّ كاين: «لا يهم كيف أشعر، لكن إستير وبارت صديقاي».

انتاب شانون شعور داخلي برغبتها في أن تلتف حول نفسها وتموت. لكن بدلاً من هذا، غمغمت ساخرة بلا مبالاة: «لم يبد عليهما أنهما أعارا الأمر انتباههما».

- لأنهما مهذبان جداً كي يعترضا، حين تقرّر امرأة وقحة صفيقة بأن تستعرض نفسها أمامهما.

- لم أكن أستعرض نفسي!

- آه! أحقاً؟ ماذا تسمّين ذلك إذاً؟

بدا وجه كاين أبيض شاحباً لشدة غضبه. تابع قائلاً: «ذلك التصرف عند البركة لا يليق إلا بالشاطئ أو بغرفة النوم، وأنت تعرفين ذلك! وبعد كل التصرفات الأخرى التي قمتِ بها اليوم، فأنا واثق أنه لم يبقَ هناك أي شك في ذهنهما بأننا عشيقان!».

وذلك هو لبّ الموضوع، كما أدركت شانون، فهذا آخر شيء يريده!

- آه، عزيزي!

واستدارت بعيداً عنه، هارعة نحو المطبخ، ثم نزولاً باتجاه حجرتها. زلّت قدمها وهي تدخل الباب المفتوح، قبل أن تدرك أن كاين لحق بها:

- بالله عليك، شانون!.

امتدت يده نحوها، في محاولة لجذبها كي تتوقف، وقال: «ألا ترين أن التصرف بهذه الطريقة يؤكد كل ما تنشره الصحف عنك؟».

- لا آبه!

استطاعت شانون أن تشعر بوخز الدموع خلف عينيها، لأن حاجتها لكسب احترامه تنهش قلبها.

صاح كاين غاضباً: «حسناً، لكن أنا آبه!».

تحدّته بمرارة، مدركة أنها قضت على كل ذرّة احترام قد يكنها لها، فسألته:

- لماذا؟ ألأنني شوّهت سمعتك الشريفة؟».

- إنني أفكر بكِ، أيتها الغبية! متى ستنضجين، وتدركين أنه يجب عليك ألا تتصرفي بطريقة فاضحة كي تثيري انتباه الرجال؟

- انتباه...؟

أهذا ما يظنها تفعله؟ أجابته: «إن كان من أحد يسعى وراء إثارة انتباه الرجال، فهي تلك الطفلة المسكينة التي كان عليّ أن أتحملها بعد ظهر هذا اليوم! وإذا لم تنتبه، فهي كانت تتوسل إليك كي تنتبه إليها!».

- وأنت، ألم تفعلي؟

- لا!

أطلق كاين سراح شانون، فركضت إلى غرفتها.

- أليست كل هذه...

هزّ كاين ذقنه مشيراً إلى الأكياس التي جلبها لها إلى الأسفل. وكرر: «... وهذه...».

ثم أردف مجدداً، وهو يشير، إلى السترة الجلدية الملتصقة بجسدها: «... توحي بما أفكر به؟».

- لا!

ردّ كاين، مذكراً إياها بما قالته عن إميلي: «كما أشرتِ. مررنا كلنا بعمر السابعة عشرة».

ثم تابع: «ما من رجل ناضج يقع في فخ مراهقة ولهانة، لكنك كبيرة بما فيه الكفاية لتعرفي هذا، شانون. أما أنت فعرفتِ جيداً ما كنت تقومين به».

- هل عرفتُ حقاً؟

خرجت من شانون هذه الكلمات كصوت قصير حاد، فيما تراجعت خُطاها، لترتطم بالخشب الصّلب لطاولة التبرّج. لقد عرفت ما كانت تفعله بالضبط، لكنها لم تواجه النتائج إلا الآن فحسب، ولم تكن متأكدة من كيفية معالجتها. أردفت قائلة من خلال شفتين جفّتا فجأة: «لا أعرف ما الذي تلمح إليه».

التوى فم كاين في ابتسامة غير فرحة ثم سألها: «ألا تعرفين؟».

وأردف: «إذاً، أظن أن الوقت حان لأنورك».

٨ ـ أخيراً وجدها

Breathless

خرج من فم شانون صوت قصير، وومض في عينيها بريق تحذير، لكن كاين تجاهلهما معاً فيما سحبها نحوه، حابساً يديها اللتين لم تكفّا عن المقاومة، بصدره الدافئ الصلب. أدارت رأسها كي تتجنب الاقتراب منه، إلا أن يده انغرزت بشعرها لتجذب رأسها من جديد نحوه، فلم تعد تستطيع القيام بأي شيء غير استقبال عناقه.

تنهّدت في اعتراض مخنوق. يا الله! لكم تمنّت أن يعانقها، لكن ليس بهذه الطريقة! ليس بمزاج غاضب. أخذت الأفكار تتلاطم في رأسها، وهي ما زالت تقاوم.

آه... يا الله! لكم تاقت إلى ذلك! منذ اللحظة التي دخلت فيها إلى ذلك المكتب، والتقت وجهاً لوجه بهذا الرجل، أرادته أن يعانقها... أن يتوق إليها كما تتوق إليه...

بدا عناقه حارّاً ولجوجاً، وهو يضمها إليه بقوة، فأحست شانون بوخز أبر قاسية تجري نزولاً على امتداد عمودها الفقري. استطاعت أن تسمع صوت أنفاسه غير المنتظمة، الذي أوحى لها بمدى توقه إليها.

- آه كاين، أرجوك!

أعاده توسلها إلى وعيه مجدداً. يا إلهي! ماذا يفعل؟ رفع كاين رأسه كي ينظر إليها. بدا شعره أشعث ووجهه محمّراً من جرّاء المشاعر القوية التي عصفت به. آه! كم يتوق كي يشبعها عناقاً، لكنه أتى بها إلى هنا من دون موافقتها المسبقة، بغض النظر عن مدى جمالها وجاذبيتها. تطلّب الأمر من كاين كل إرادته، ليذكّر نفسه بهذا. لا يمكنه الاستسلام لحيلة تلك المرأة المغوية، فيسمح لها بإرضاء أنانيتها لا أكثر ولا أقل. لا

www.rewity.com

يمكنه أن يكون رجلاً آخر في حياتها غير ذي أهمية، مجرد علاقة تتفاخر بها. تحرك مبتعداً عنها، قائلاً بحزم: «أنا آسف».

انزعاج شانون وصدمتها، أيقظاها من سُباتها المؤقت. سألته: «لماذا فعلت ذلك؟».

بدت مجروحة ومذهولة جداً. في الواقع، أرادته أن يقترب منها مجدداً، ويأخذها بين ذراعيه، ويمحو الألم الذي غلف وجهها اللطيف، لكنها لا تستطيع الافصاح له عن رغبتها تلك.

استغرب كاين مدى رباطة جأشه، وثبات يديه، وهو ينفض قميصه بهدوء تام. ثم يقول: «أنا آسف حقاً. أنا لا أعتبر العبث مع بنات زملاء العمل أمراً سليماً، حتى لو كن جميلات فاتنات مثلكِ، عزيزتي شانون. بحسب خبرتي، بالإضافة إلى كونه أمراً لا أخلاقياً تماماً، فهذا قد يهدّم علاقة عمل ناجحة».

حاولت شانون الحفاظ على رباطة جأشها في مواجهة فيض المشاعر المتناقضة التي اجتاحتها. لماذا يشعر بالأسف؟ ألأنه لا يحس بأي عاطفة حيالها؟ امتزج الخوف بالاستياء، لكن هذا كله لا يوازي الألم الذي أثارته تلك الفكرة الأخيرة فيها.

وقف كاين هناك مثل سوبرمان، بهدوئه ومناعته، مع ابتسامة ساخرة لوت ذلك الفم المشدود. قال ورموشه الداكنة تخفي أي عاطفة يمكن لها أن تقرأها في هاتين العينين الزرقاوين: «بعد كل شيء... أليس هذا ما خططته لي؟».

النظرة التي رمقته بها شانون دلت على الذهول والحذر. هل خططت لذلك حقاً؟ هل وصل بها الجنون إلى حدّ جعلها تظن أنها تستطيع أن تحيده عن مساره وتذلّه، من دون أن تذل نفسها معه كذلك؟

افترضت بتعاسة أنه لا يحترمها، حتى إنه ليس معجباً بها. وهو بالتالي لن يستسلم لإغوائها حتى لو أرادت أن تغويه، كما يعتقد أن معظم الرجال قد فعلوا. همست، وهي تشعر بالإهانة والخجل: «اخرج».

* * *

بدت كان مثلما تذكرتها شانون من الزيارات السابقة تماماً، مدينة راقية تعجّ بالناس، وقد تفتحت الأزهار في أحواضها فبدت مشرقة براقة على طول الجادة المليئة بأشجار الغار، أما المباني التي تلوح بأعلام ملونة، فتشهد على أسلوب حياة فاخر.

من المفترض أنها تنتمي إلى هذا العالم. فكرت شانون بذلك وهي تمشي مع كاين بخطى واسعة على الجادة، وتراقب سيارات البورش واللامبورغيني والسيارات الرائعة تسير أمام الفنادق الفخمة، والمعارض الفنية، ومتاجر المصمّمين، التي تزين الشارع من الجانبين. لكنها في الواقع لا تنتمي إلى ذاك المكان. لم يبدُ لها أنها تنتمي إلى أي مكان آخر أو إلى أي شخص آخر. هذا ما راح يجول في خاطرها، فيما استدارت لتنظر من خلف نظارتيها الشمسيتين، نحو التلال الضبابية الواقعة خلف البحر المتوهج.

- لِم تبدين حزينة جداً؟

أدركت شانون أنه لا يفوت أي شاردة. تهربت من الاجابة عن سؤاله، غير راغبة بمشاركته أفكارها الداخلية، فقالت: «لِم تحملت عناء إيجاد فندق لي؟ يمكنني البقاء على متن اليخت».

لن يتمكن كاين من تجهيز اليخت بالمؤونة اللازمة حتى صباح اليوم التالي، لذلك اقترح عليها أن تقيم في فندق ما، مفترضاً أنها ستشعر بارتياح أكبر. إلا أن شكها بأنه ينتظر على أحر من الجمر كي يتخلص منها، سبب لها تعاسة لا تُطاق. أضافت: «من جهة أخرى، أستطيع أن أبيع ساعة يدي هناك...».

أشارت شانون إلى متجر الحلي على الجهة الأخرى من الطريق، وتابعت: «... فأحصل على مبلغ من المال يكفيني لأسافر إلى دياري».

أجابها موافقاً: «تستطيعين... إلا أنك لن تفعلي».

نظرت شانون إلى كاين نظرة متسائلة، وسألته: «ما الذي يجعلك تظن هذا؟».

- أولاً، لأنك قبلتِ دعوتي لحضور حفل العشاء هذا المساء.

لأنه عشاء خيري، ولأن من يقيمه هو أحد زبائن بوفيير القدماء، وليس لأي سبب آخر!

- ثانياً، لأنني أعرف أن تلك الساعة كانت لأمك، قبل أن يعطيك إياها رانولف في عيد مولدك الثامن عشر. أتيت إلى المكتب حينذاك، وأريتني إياها.

هذا صحيح! تذكرت شانون أنها اتخذت من ذلك ذريعة لتتكلم معه يومها، لكنها تفاجأت لأنه تذكر الأمر.

- حسناً! إذاً... يمكنك أن تعطيني مبلغاً يغطي رحلة عودتي إلى الديار متى شئت.

- لا.

ذلك كل ما قاله كاين. فكرت شانون بسخرية أنها ستبقى تحت رعايته إذاً. تحمست، لتلك الفكرة التي عززتها معرفتها بأنها غير قادرة على ترك كاين. قالت: «أنت تستغل حالتي، ليس أكثر».

أطلق كاين ضحكة قصيرة، حادة، وأجاب: «هذا صحيح».

- لماذا؟

سألته شانون مدركة لعيون المارة التي بدت منصبة على هالة القوة والجاذبية التي تحيط بهذا الرجل إلى جانبها. في الواقع، توجهت النظرات إلى كليهما، كما لو أنها تحسد هذا الثنائي الذي يكمّل أحدهما الآخر. أكملت:

- ألكي تعلمني درساً آخر في الإهانة؟

- لم أعرف أن هذا ما كنت أفعله.

شعرت شانون بعينيه تتفحصانها بدقة عبر نظارتيه الداكنتين، وهي ترتدي قميصاً داكنة اللون وسروالاً متوهجاً أنيقاً، كانت قد اشترته من شارع تروبيز، هذا بالإضافة إلى انتعالها جزمتين عاليتي الكعبين. تابع كاين قائلاً: «لا أنوي... ولم أنوِ قط أن أهينك، يا شانون».

لكنه فعل! فكرت شانون بمرارة، وهي تستعيد ما جرى في حجرتها بعد عودتهما من منزل عائلة كولتانيز نهار أمس. أحست أنها على شفير

البكاء، فكان عليها أن تبلع ريقها كي تسيطر على دموعها، خشية أن يراها كاين. علقت: «أكره أن أكتشف ماذا كنت لتفعل لو أنك حاولت إهانتي فعلاً».

* * *

بدا حفل العشاء في تلك الأمسية مناسبة متألقة، وقد أُقيم في قاعة الرقص في أحد الفنادق الأكثر فخامة للمنتجع.

- سوف تحتاجين إلى فستان لحفل الليلة.

قال لها كاين ذلك في وقت مبكر، ولم تشعر شانون بالرضى كما توقعت وهي تقول له إنه ابتاع لها واحداً. فقد انتقت فستاناً ملائماً من المتجر الصغير في شارع تروبيز نهار أمس. إنه فستان من القماش الأبيض الناعم، زين جزؤه الأعلى بربائط تصل حتى أعلى صدرها. أما ثنايا التنورة المتمايلة، فبدت مزيجاً من اللونين الأبيض والرمادي الدخاني، تنتهي بحاشية رائعة. صففت شانون شعرها في تسريحة عالية أنيقة يمتاز بها الفرنسيون، تاركة خصلتين ذهبيتين ناعمتين تنسدلان على وجهها. فوق عنقها وفي أذنيها، التمعت حلى فضية ناعمة، اشتراها لها كاين من البلدة بعد ظهر ذلك اليوم. أما في قدميها، فانتعلت حذاء فضياً عالي الكعبين يتماشى مع سترتها.

بعد أن انتهى الجميع من تناول وجبة الطعام، وقفت شانون بجانب كاين مع مجموعة من الناس، حيث دارت حولهما الثرثرة والموسيقى. تذكرت نظرة الذهول التي بدت عليه حين خرجت من حجرتها إلى البهو، حيث كان ينتظرها. قال: «تبدين... رائعة!».

محاولة أن تتجاهل مشاعر الرضى التي أخذت تدفئ عروقها، غمغمت مجيبة: «وأنت كذلك».

ألقيت الخطابات، وقدم الشكر لعدد من الجهات الممولة، والآن لم يبق أمامهما سوى الانخراط مع المجموعة. استدارت شانون حين سمعت أحدهم ينادي اسمها من غير توقّع.

- ويلي!

شق الرجل الطويل القامة ذو الشعر البني الباهت طريقه بين الجموع الغفيرة المتراصّة، حتى وصل إلى شانون. انحنى ليضمها إليه في عناق صغير مفاجئ.

- كاين، هذا هو ويلي رانيولاس... إنه... صديق لي...

قالت شانون هذا بتردد، قبل أن تعرّف كاين إلى الرجل الآخر، من دون أن تفهم سبب عبوسه. هزّ كاين رأسه استجابة لذلك، وأحس بالامتعاض يشد فكه. أطلقت عليه شانون تسمية صديق من دون أن تذكر مكان تعرفها عليه، أو السبب الذي دعا الشاب إلى الاعتقاد بأن له الحق في معانقتها.

قال الرجل بحماسة: «لا بد لي من القول إنك تبدين رائعة، بعد الحالة التي رأيتك عليها مؤخراً».

لاحظ كاين أنه رجل شاحب الوجه، بالرغم من أن ويلي هذا في مثل سنه على الأرجح. وفيما راح الناس الذين كانوا يتبادلون معهما الأحاديث يبتعدون على مهل، لاحظ أيضاً أن عينا القادم الجديد تكادان تلتهمان شانون.

- بالمناسبة، بيبرز يرسل لك حبّه. كان قلقاً عليكِ، كما كنا جميعاً. اشتقنا إليكِ.

- أنا اشتقت إليكم أيضاً.

بدت ابتسامة شانون توّاقة وصادقة وأردفت: «قل له إنني بخير».

لاحظ كاين أنها بدت شاكرة أيضاً. تساءل هل علاقتها مع بيبرز علاقة جدية بالرغم من أنه متزوج؟ أدرك بخجل أنه يريد أن يشبع ويلي هذا ضرباً لمجرد نقله لمشاعر حب الرجل الآخر إليها.

- لكم من الوقت تخطط أن تبقيها بعيدة عنا، كاين؟

ذلك الشرير المتملق يوجه الكلام لكاين الآن، وكأنه صديقه الذي لم يره منذ مدة طويلة. أضاف: «الطيارون المسعفون المتفانون إلى هذا الحد...».

ما لبثت شانون أن شعرت بذراع تزحف على كتفيها، فيما أردف

ويلي: «... هم أشبه بالذهب هناك في البيرو».

- الطيارون المسعفون؟!

ابتلعت شانون ريقها، فيما شحب وجهها بعد أن رمقتها عينان زرقاوان ضيقتان بنظرة ملؤها الشك. أكمل الرجل كلامه، غافلاً عن انزعاج شانون وعن صدمة كاين، فقال: «إنها ربّانة متمرّسة أيضاً».

في خضم الضوضاء الصادرة عن الحشد المحيط بهم، بدت شانون غارقة في بحر من الأصوات، التقطت من بينها كلمات ويلي.

- أنا متأكدة أن كاين لا يريد أن يقف هنا ليسمعك تتغنى بمزاياي الحسنة، ويلي!

وبخته شانون مع ضحكة صغيرة مصطنعة، وقد أزعجها أن يفضح ويلي العمل الذي تدرّبت عليه.

- أنا آسف!

راح الرجل يجول بناظريه من جانب إلى آخر، إلى أن لاحظ التوتر الطاغي على الجو. أضاف: «لم أدرك أنك...».

نظر إلى كاين نظرة اعتذار، وسأله: «أتعرف أنها... تمارس الطيران؟».

أجاب كاين، مدركاً أن ذاك كل ما يعرفه عنها: «نعم».

- أراك لاحقاً، إذاً.

لم يلاحظ أي من الحضور الرجل وهو يمشي ليختفي بعيداً، فيما بقي زوجان من العيون الزرقاء متشابكين؛ زوج متسائل وآخر مواجِه.

همس كاين: «لِم لم تخبريني أنك تقومين بعمل خيري إسعافي؟».

اشتدت أصابع شانون حول زجاج كوبها، وأجابته: «لم أكن أحتاج إلى موافقتك».

- لا، لكنك تعمدت أن تجعليني أظن الأسوأ عنك.

ذكرته متألمة: «لا! أنت من أراد أن يصدق الأسوأ».

ثم أضافت: «وأنا سمحت لك بهذا».

- كما سمحت لي أن أعانقك ليلة أمس؟

راحت تفكر بجواب عاقل، إلا أن أحدهم ظهر فجأة، ليتحدث إلى كاين، فيما قام شخص آخر بلفت انتباهها وإبعادها، لذا لم تستطع أن تحظى بفرصة التكلم مع كاين على انفراد إلا بعد حين. بعد أن وجدها أخيراً وأبعدها عن مجموعة من الشبان المعجبين الذين كانت تريد التخلص منهم، قال كاين: «هيا بنا!».

توجّها نحو مدخل القاعة حيث وضعت طاولة الضيافة. هناك سمعت شانون أحدهم يقول: «... لقد انتهت هذه الشركة على أي حال. لو بقي رانولف المتعجرف يديرها لتمت تصفيتها. لقد طرد ربع عدد العاملين لديه، وقام بتقليص التمويل والطاقة كي يصبح أكثر غنى، ولو بطريقة غير مشروعة... ذلك يهدد السلامة العامة. هذا بالإضافة إلى تصدير مواد لا قيمة لها تقريباً».

كانت شانون تتوجه صوبهم، حين شعرت بلمسة ناعمة على رسغها. قال كاين: «اتركيهم وشأنهم، شانون».

تجاهلت أمره اللطيف، فيما تقدمت لتواجه الرجل الذي يتكلم، والذي كان جالساً برفقة اثنين آخرين على الكراسي العالية القريبة من المنضدة.

لم تبدُ شانون من قبل بمثل هذه القوة وهذه الهشاشة معاً. ظهر اعتزازها بكرامتها جلياً من خلال تصميمها، بالإضافة إلى رباطة جأشها التي بدت حينئذٍ مثالاً يُقتدى به. سمعها كاين تقول: «أولاً، إن الشركة التي أتيت على ذكرها لم ولن تقوم بتهديد السلامة العامة لمصلحة الربح المادي، أما ما يشاع من اتهامات تفيد العكس، فهي مجرد تشهير. ثانياً، إذا ما سأل أحد العمال نفسه اليوم أو غداً، عما قدمه للشركة، بدلاً من أن يسأل عما تستطيع الشركة أن تقدمه له، فلربما جل ما يمكنه قوله هو ليس أكثر من التصفيق وليس أقل من التذمر».

للحظة واحدة، حل الصمت على الرجلين الآخرين بفعل صدمتهما، وما لبث ذاك المتحدث أن صاح، وقد بدا عنيفاً وأحمر الوجه: «ومن تظنين نفسك، أيتها الفتاة الصغيرة؟ بوفيير؟».

تبعت ضحكته المبتذلة ضحكتا الآخرين. فيما كان كاين يتقدم لإنقاذها، لاحظ شعورها بالكرامة المنتهكة. رفعت شانون رأسها، قبل أن تجيبه ببساطة: «هذا بالضبط من أنا».

بدت شانون فخورة بهويتها، فخورة بكل ما عملت عائلتها من أجله، وبكل ما تمثله، وأدرك كاين في تلك اللحظة أنها أرادت أن تكون جزءاً من ذلك كله، لكن رانولف لم يسمح لها. حاول أن يسيطر عليها، كما حاول أن يسيطر على كل من حوله، لكنها امتلكت من الشجاعة ما يكفي كي لا تخضع لأي رجل. بدلاً من ذلك، وجدت طريقها الخاص كي تحقق ذاتها وتكون نافعة، وتشعر بأنها مطلوبة للمساعدة، وذلك من خلال مساعدة الآخرين الذين يحتاجون إليها.

أدرك كاين أنه يرى شانون جديدة. لكن لا! هذه ليست شانون جديدة. فكر كاين منتقداً نفسه. لطالما كانت شانون موجودة كما هي الآن طوال الوقت، إلا أنه كان متقوقعاً في أحكامه السابقة عنها.

www.rewity.com

نزل الرجال الثلاثة عن الكراسي وراح اثنان منهم يحاولان إقناع الرجل الثالث بأن ينسحب بهدوء. إلا أن ذلك الرجل الأحمق طمأنهم بألا يقلقا، عازماً أن تكون له الكلمة الأخيرة.

مشى الرجل بتباه بضع خطوات، ثم قال: «إذاً حلاّل العُقد الذي رأيتك معه... ذاك ال...».

وأكمل: «... الدينامو الذي استُدعي كي يُنهي الفوضى العارمة، ويضاعف نشاط الشركة. هل ضاعف نشاطك أنتِ أيضاً؟».

أخذ الرجل يهتز من الضحك بفعل إهانته البذيئة. لكن في الدقيقة التالية، تلاشت ضحكته وفرّ مع أصدقائه من المخرج بسرعة الأرانب.

وقف كاين خلف شانون مباشرة، ما سمح له بأن يستمع إلى ما قيل. هذا ما أدركته شانون من خلال ملامحه المشرقة، الأمر الذي فسّر لها سبب هروب الرجال السريع.

نصحها بلطف، ممسكاً بمرفقها: «تعالي!».

ما إن مالت شانون باتجاهه، حتى رأت القلق ظاهراً على وجهه،

Breathless

فاشتعلت في داخلها عاطفة هائجة، شعور لا تستطيع أن تخفيه حتى لو أرادت ذلك. فكرت أنها لم تحب أحداً في حياتها بهذا القدر.

- هل هذا صحيح؟

غمغمت بصوت خفيض، وهي تسترجع معطفها الحريري من حجرة الإيداع. وأضافت سائلة: «هل تمت تصفية الشركة حقاً؟».

- لا.

كان كاين وشانون يمشيان عبر الممر حين ومضت أضواء آلة تصوير فجأة في وجهيهما. بدا كاين كأنه على وشك أن يضرب الرجل الذي قال: «شكراً، يا آنسة بوفيير».

قبل أن يتوجه إلى الحفلة بسرعة.

عارضته شانون باستياء، فيما توجها إلى الخارج نحو الشارع المشع بالأضواء: «أنت تقول هذا، لكن ذلك ليس صحيحاً».

بالرغم من أن الوقت متأخر، إلا أن المكان كان يعج بالحركة.

أجابها كاين: «كنت هناك لمدة عشرة أشهر».

وأردف: «ثقي بي».

قادها عبر الطريق المزدحم، نحو المنتزه المضاء بالمصابيح. أقرّت شانون قائلة: «أنت لست أحد المديرين الذين يعملون لدى أبي فحسب، أليس كذلك؟».

حلاّل العقد! هذا ما دعاه به الرجل، ما يعني أنه يتبوأ مركزاً هاماً في الشركة، كما يعني أيضاً أن ما سمعته عن كاين مصادفة الليلة حين قيل إنه ينطلق كالصاروخ إلى الأعلى كان صحيحاً. والآن يبيع مهاراته التي يُحسد عليها مقابل أجر هائل من دون شك، كي يوقف الشركة التي تركها من قبل على قدميها مجدداً.

أجاب كاين: «لا! طُلب مني المساعدة كي أنقذ الشركة من مأزقها. هذا كل ما في الأمر».

- لكم من الوقت؟

- سأبقى لمدة سنة كاملة.

إذاً وقته معهم شارف على الانتهاء تماماً كما شارف على نهايته معها، فكرت شانون بذلك متألمة، محوّلة ملامحها المضطربة نحو الشاطئ المعتم. أضاف كاين: «لكن كفانا حديثاً عني».

أكمل بنبرة فائقة اللطف: «. . . دعينا نتكلم عن البيرو».

عندما استجمعت شانون قواها بعد بضع لحظات، أخبرته كل شيء، بدءاً من لقائها ببييرز وزوجته، التي كانت معلمتها الخاصة لفترة وجيزة في ميلانو، إلى عملها في أيام الكوارث. فشرحت له قائلة: «قرأت عن عمليات الإغاثة التي تجري أثناء الفيضانات في البيرو، تلك الفيضانات التي جرفت قرى بأسرها، فأردت أن أقوم بعمل إيجابي كي أساعد. حين سافر بييرز وجاكي إلى هناك، ذهبتُ معهما. رأيت كيف أن الفقر يفتك ببعض الأماكن، كذلك شهدت الظروف التي كان على الناس هناك مواجهتها، كما لمست قلة الموارد والإمكانيات، لاسيما التي تقدم للأطفال، لذلك قررت أن أستمر في عملي ذاك».

- ولم تقولي شيئاً.

بدت كلمات كاين مبطنة بالدهشة وبشيء آخر. لكن ما هو؟ تساءلت شانون بتوق شديد. أهو الاحترام؟

هزت كتفها، وأجابت: «لم يبدُ لي أن في ذلك أي فائدة».

لم يكن القمر تام الاكتمال، كما كان منذ ثلاث ليال خلت. هذا ما لاحظته شانون ما إن خرجا إلى الرصيف. بدا كأن هناك قطعة مفقودة منه. كما لو أن أحدهم مدّ يده بسرعة، وانتشل جزءاً منه.

- على الأرجح أن خبر كوننا عشيقين، سينتشر في كل الصحف غداً.

بدا صوت شانون مثقلاً بالشوق واللهفة.

- وهل تمانعين؟

- إذا لم تمانع أنت!؟

غمغم كاين بغير جدية: «سيُنسى الخبر بسرعة».

تماماً كالرياح الشمالية العنيفة التي تهب من أعالي الجبال نزولاً!

فكرت شانون بينما ارتجفت فجأة.

- إليك هذه.

التقطت شانون أنفاسها فيما وضع كاين سترته برفق شديد حول كتفيها. بدت السترة دافئة من حرارة جسده، وعابقة برائحة عطره. وأثار ذلك ألماً معذباً في داخلها.

كان اليخت ينتظر تحت ضوء القمر بمنظره الأملس القوي. إنه بالفعل حلم أي مليونير.

سألته شانون: «هو لك. أليس كذلك؟».

- نعم.

كما عرفت في أعماقها منذ البداية...

بدا المكان مظلماً عندما خطت شانون نزولاً انطلاقاً من بابي البهو. وقف كاين على الدرج، موجهاً ظهره إلى الأبواب المقفلة، كي لا تستطيع شانون رؤية وجهه.

- شكراً لإعارتك لي سترتك.

تركت السترة تنزلق عن كتفيها، لكنها ظلت متمسكة بها، وهي تتقدم نحو الأريكة. متمسكة بعطره وبكل ميزاته التي تسنّى لها معرفتها عنه، لأنها لم تتمكن من اختراق جدار قلب هذا الرجل، وجعله يحبّها كما تحبه هي، ولأنهما سوف يعودان إلى الديار نهار غد.

- شانون...!

النبرة التي نطق بها اسمها شلّت حركتها، وثبتتها هناك في مكانها، مثل حشرة في مصيدة: ضحية لقدرها.

كان كاين ما يزال واقفاً خلفها، لكنها شعرت بفضل حاستها السادسة أنه تقدم نحو الظلال. شعرت بكل خطوة مدروسة مشاها نحوها قبل أن تلامس أصابعه ذراعها في دعوة صامتة. شعرت شانون كأن قلبها توقّف عن النبض. وكأن قوة جاذبيته أسرتها، وجعلتها تستدير كي تواجهه. ما لبثت أن أدركت أنها صارت مرتمية بين ذراعيه، وأنه راح يعانقها بشغف وتوق، كما لو أنه لم تكن هناك أي عوائق بينهما... كما لو أنها تنتمي إليه...

٩ - وانصهرت القلوب

تشبثت شانون بكاين، وكأنه خشبة الخلاص الوحيدة في الكون، وكأنها تستمد الحياة من دفئه المتّقد. أما هو فأدرك أنه يحبس أنفاسه، قبل أن يرفع رأسه كي ينظر إليها.

هذه هي لحظة النهاية! اعتقدت شانون ذلك، وهي تشعر بخيبة الأمل، ظانة أنه سيبعدها عنه بقوة، قائلاً إنها حصلت على ما تستحقه. ربّاه! إنها لا تستطيع تحمّل ذلك. بدت عيناها داكنتين بفعل شوقها إليه، أما عيناه فلم يتضح ما فيهما بسبب الظلال. على أي حال هي لا تريد أن ترى السخرية التي تأكدت من وجودها هناك. أخفضت رأسها فاقدة للأمل، وهي تطلق تنهيدة معذبة. فجأة، أحست بيديه تلامسان مؤخرة عنقها الناعم، الأمر الذي جعلها تطلق صرخة غير خجلة: «آه، كاين! لا تتركني... أرجوك!».

شعرت بالارتجاف في جسدها بأكمله، قبل أن يدفعها كاين نحو الأريكة لتجلس عليها، ثم يجلس بقربها محيطاً كتفيها بذراعه الدافئة. تأوه، ثم قال بصوت أجشّ: «أنت تثيرين جنوني!».

في اللحظة التالية شدها بقوة إلى صدره وعانقها من جديد، فمالت نحوه مستمتعة بعناقه. لم ترغب بأي شيء أكثر مما رغبت بهذا الاحساس طوال حياتها. راحت يداه تضمانها بحنان إنما بقوة، فانطلقت تنهّدات عميقة صغيرة من حنجرتها.

شعرت بالخوف من مشاعرها، لأنها في تلك اللحظات أدركت أنها تنتمي إليه. بدا لها كأنها أخيراً وصلت إلى حيث تنتمي. لهنيهات قليلة، فكّرت بالمرأة الأخيرة التي مرّت في حياته. أتراها مجرّد لاعبة أخرى

على مسرح خبرته المجيدة المتألقة؟ آه. . . ! ذكرها ذلك أنها ما زالت عذراء عديمة الخبرة.

لم تفهم لماذا شعرت بالحاجة إلى إخباره بالأمر.

- كاين. . . !

شعرت بعقدة صغيرة من التوتر تتكون في داخلها. هل عليها إخباره؟ قالت من جديد: «كاين! أنا. . .».

سمعته يسألها: «هل ظننت يوماً أنني لا أشعر بالانجذاب نحوك؟».

آه! يبدو أنه أساء فهم سبب تلفّظها بتلك الكلمات، هذا ما أدركته شانون، فيما أضاف قائلاً: «لن تصدقي مقدار توقي إليك ورغبتي في معانقتك».

لم تستطع شانون أن تفكر بأي شيء أو أن تفعل أي شيء غير الاستجابة لعناقه. فكرت بصمت وهي بين ذراعيه: هذا هو عالمي! هذا هو المكان الذي أنتمي إليه!

مرت دقائق ظلا خلالها غافلين عن كل ما هو حولهما، غارقين في عناقهما الشغوف.

بعد قليل ابتعد كاين عنها، ونظر إلى عينيها قائلاً: «ما الذي أردت قوله قبل قليل؟».

أشاحت شانون بنظرها بتوتر واضح. ترددت قليلاً، إلا أنها استجمعت شجاعتها: «كاين! بالرغم من كل ما سمعته أو قرأته عني، فأنا لم أقم علاقة حميمة مع رجل من قبل».

نظر إليها كاين باستغراب، كأنه يراها للمرة الأولى. بعدئذٍ قال بهدوء: «أتقولين لي إنك ما زلت فتاة عذراء؟».

- نعم. هذا صحيح!

- لماذا؟ وهل كل ما نُشر. . .؟

بدت شانون خجلة وضائعة، لكنها استدارت نصفياً كي تواجهه، سألته: «هل شعرت بالصدمة لأنني لست امرأة مستهترة كما ظننت؟».

- في الواقع. . . نعم.

هزّ كاين رأسه، فانسدل شعره برفق على جبينه. أضاف: «هل ما تقولينه صحيح؟ أعني. . .».

ظهر خط عميق بين حاجبيها، وتلاشت السخرية من عينيها. سألته بنبرة ملؤها الشك: «وهل للأمر أهمية بالنسبة إليك؟».

هز كاين رأسه مجدداً، وقال: «إنما ظننت أنك. . .».

- خبيرة؟ أهذا هو السبب الذي دفعك إلى خطفي ومحاولة التقرب إلي؟

بدت الابتسامة التي أعطاها إياها كاين متسمة بالشعور بالأسف والذنب، فيما قال: «لكن علاقتك مع ماركام. . .».

رفعت شانون بصرها نحو تلك الملامح المحتارة الوسيمة إلى حدّ يخطف الأنفاس، ثم صحّحت مزمجرة: «حسناً! ليس الأمر كما تظن. التقيت به في إحدى الحفلات، التي كانت بمثابة منفذ ما. . . وسيلة للفت النظر، كي أعوّض عن الانتباه والاحترام، اللذين لم ألقاهما من الأشخاص الذين أهتم لهم. . . أصدقائي أو أولئك الذين كنتُ أظنهم أصدقائي. . . أبي. . . أنت».

عقد العبوس حاجبي كاين، فيما أخذت عيناه تفتشان عن الإخلاص اللطيف في وجهها.

أكملت شانون، قبل أن يستطيع كاين أن يعلق: «عرفتُ أنه متزوج، لكنه قال لي إنه في صدد إنهاء إجراءات الطلاق. بدا مظهره خادعاً جداً. وجدت فيه رجلاً لطيفاً يمكنني التحدث إليه. بدا مهتماً للأشياء التي أؤمن بها، وتلك التي أردت القيام بها».

- مثل إنقاذ العالم؟

أجابت بإصرار على تلك القهقهة الخافتة في صوته: «مثل محاولة تسهيل الحياة أكثر، وحتى محاولة جعلها ممكنة للأشخاص الذين لم يحظوا بحياة ملؤها الرفاهية كتلك التي حظيت بها أنا».

أطلقت شانون نفساً مرتعداً، وهي تتذكر ما حدث، ثم أكملت: «لم أشأ أن أتورط بعلاقة معه، إلا حين ينتهي من عملية طلاقه تماماً. قال لي

www.rewity.com

إنها مسألة أسبوعين، ولعل من الأفضل ألا نظهر إلى العلن معاً بأي حال. كي يحميني... يحميني!».

الضحكة البسيطة التي خرجت من بين شفتيها حملت في طيّاتها كل المعاني ما عدا الفرح والابتهاج. راحت تسهب: «باتت الظروف لا تُحتمل في المنزل، وحين اقترح علي أن نبتعد في فترة الصيف، بدت الفكرة رائعة، لكنني قلتُ له إنني لن أقيم علاقة حميمة معه... ليس قبل أن يصير حراً تماماً، حيث يمكننا أن نتزوج. فوجئت بنفسي لسهولة الالتزام بذلك وأنا برفقته. اعتقدتُ أن ثمة خطأ فيّ، لأنني لم أشعر بالانجذاب نحوه، كما ظننت أنني سأفعل، لكنني قلتُ لنفسي إن ذلك ليس مهماً، وإن علاقتنا الفكرية وصداقتنا هما الأهم. افترضتُ أنه كان يشعر بالاستياء حين أخبرني أنني لست طبيعية، وصدقت أنني كذلك. صدقت أنه يهتم لأمري فعلاً، ويحاول أن يساعدني، حين أصر علي كي أخبره إذا ما كنت قد خبِرتُ ذلك النوع من الشعور تجاه أي شخص آخر. وفي أحد الأيام كان ما كان، وأخبرته».

- أخبرته... بماذا؟

في ظل سكون الحجرة، بدا صوت كاين منقّباً عن الحقيقة بهدوء.

تنفّست شانون وهي مغمضة العينين. ترددت قليلاً، ثم قالت بهمسة مرتجفة: «أنني لست طبيعية مطلقاً، لأنني أشعر بالتأثر فقط حين أفكر بكَ أنت».

ها قد خرجت منها الكلمات، واعترفت له. لم يعد يهم الآن ما الذي يفكر به، لأنه عرف ما عرفه. أكملت: «بعد ذلك، أخذ يحاول التأثير بي مستخدماً كلاماً بذيئاً».

يومها شعرت شانون بالاختناق، فاستدارت بعيداً عنه. أحست بكل فقرة من عمودها الفقري النحيل تسترخي بارتياح، لأنه حين رأى الانزعاج الذي أصابها سخر منها، قائلاً إنه يستطيع أن يتخلى عمّا لا يريده كاين فالكونر. أردفت: «عندئذٍ أدركت أنه شخص مريض، وأن جُل ما يريده هو إيذائي. أيقنت حينئذٍ أن علينا إنهاء علاقتنا. خططت كي

أخبره بذلك في نهاية الأسبوع، بعد أن عقدت العزم على الذهاب إلى مكان آخر. لم أدرك أن زوجته اكتشفت أمرنا، وأنه لم يكن يباشر في قضية طلاقه أصلاً. بعدئذٍ، تكشّفت القصة عن ابتلاع زوجته لكمية مفرطة من الدواء».

- ألم تحاولي حتى أن تدافعي عن نفسك؟

أقرّت شانون، فيما صار جسدها متصلباً من جرّاء تذكرها الأمر: «كنتُ خائفة... خفت لأنني لو أخبرت الصحافة أنه يكذب بشأن علاقتنا، ولو أنني كسرت أناه سيقول للجميع ما أخبرته به، وسوف يتصدر اسمك عناوين الصحف، وأنتَ سوف...».

- ...لن أشعر بالإطراء لأن الفتاة الأكثر جاذبية في لندن اختارتني أنا من بين سائر الرجال؟

أغمضت شانون عينيها جيّداً لسماعها تلك الحقيقة. شعرت بالخجل الذي كانت لتشعر به لو أن ذلك ما نُشر فعلاً، كما شعرت بالعذاب الشديد بسبب ردة فعل كاين الغاضبة.

- إذاً كان ذلك مجرد هراء؟

لم يستطع كاين أن يخفي دهشته المفاجئة، بالإضافة إلى تلك السعادة المحضة التي اختلجت في صدره فجأة.

قالت شانون بمرارة: «هذا ما توقعوه مني».

أردفت: «كلما حاولوا أن يطعنوني، كلما زادت عزيمتي كي أظل متمسكة بعذريتي، لكن لن يقوى أي رجل ممن واعدتهم، على الإقرار بذلك».

- شانون...!

تفاجأت شانون لأن اليد التي جذبتها نحوه مجدداً بدت لطيفة للغاية. علّق كاين:

- إذاً أنت لم تقيمي علاقة حميمة مع أي رجل بالرغم من كل ما قيل، وقد احتفظت بعفتك من أجلي طوال هذه السنوات؟

- لا!

حاولت شانون أن تنكر، لأن ذلك يبدو جنونياً، فما كان من كاين إلا أن ضحك ضحكة لطيفة.

- أنا سعيد جداً بذلك.

انحنى كاين نحوها، وبرقة لا تفوقها رقّة لامست أصابعه بشرة وجهها، قبل أن تتحرك لتطوق عنقها بطريقة امتلاكية لا تصدّق. بسهولة بارعة، أخذها بين ذراعيه مجدداً، فتأوّهت شانون من جراء لمسة يديه. إنه بالطبع لن يسبب لها الأذى كما فعل جايسون، وكما فعل رجال آخرون... ليس عن قصد في أي حال. فعل ذلك من قبل وكسر قلبها حين قرّر أن يبتعد، لكن لم يعد هذا يهم الآن. ما يهمّ هو أنها فتحت عقلها وقلبها، وكشفت عن مكنونات صدرها لهذا الرجل وحده، وأنها ستكون له للأبد.

* * *

جذب كاين نفسه من تحت الأغطية بعد أن أمضي ليلة مليئة بالأحلام الرائعة. تساءل إن كانت شانون ما تزال نائمة، أم أنها استيقظت في هذا الوقت المبكر. شعر بجسده يتفاعل ما إن تذكر استيقاظها وسباحتها مع الدلافين في الليلة السابقة. بالأمس عانقها كما تمنى أن يفعل دوماً، أما هي فتجاوبت مع عناقه بشوق ورقة لا حدود لهما.

منحته شانون قلبها وحبها من بين سائر الرجال الذين مروا في حياتها! هذا ما أدركه كاين بقوة. آن الأوان لذلك الإقرار الصاعق الذي لم يكن قادراًعلى تصديقه من قبل؛ حين كان كاين يراقبها عن بعد، وهي تتفتح لتصبح امرأة جميلة مشرقة، مُغيظة كل رجل ظن أنها على علاقة معه، كانت شانون تريده هو من بين سائر الرجال. ظل كاين غافلاً عن تلك الحقيقة، وبقي بعيداً كل البعد عنها متجاهلاً مشاعره نحوها، بينما كانت شانون تستخدم جمالها وجاذبيتها كي تتظاهر بأسلوب حياة يعزّز تلك السمعة الرديئة التي خلقتها لنفسها، بدلاً من السماح للآخرين بأن يروا شانون بوفيير الحقيقية... بدلاً من السماح لكاين أن يعرف حقيقة مشاعرها نحوه.

قام من السرير. وخرج من حجرته باتجاه الصالون. كانت شانون قد سبقته إلى هناك، وما إن وقعت عيناه عليها حتى راح قلبه ينبض بسرعة باعثاً في شرايينه لهيباً لا يستطيع إخماده إلا دفء عناقها.

قامت شانون بحركة بسيطة، ثم تأوهت قليلاً، حين نزلت يده إلى كتفها لتشدها إليه، كي يضمها في عناق لطيف. اقتربت منه، وانزلقت يداها على ظهره تجاوباً مع عناقه.

لم يشبع بعد توقه ولهفته إليها. أما هي فبدت مشتاقة لعناقه كما هو مشتاق لعناقها تماماً، لذا ما من داعٍ للتظاهر والتلاعب من أي من الطرفين.

تحركت شانون بشغف متجاوبة مع عناقه، فاجتاحتهما عواطف جيّاشة مجدداً.

وفيما كانا يجلسان على الأريكة المريحة ويد كاين تداعب عنقها ببطء، قال لها بصوت أجش:

- تزوجيني!

- ماذا؟

لاحظ كاين لحظة التقاء عيونهما، أن شانون بدت متفاجئة بقدر ما تفاجأ هو نفسه. إنه لم يطلب يد امرأة من قبل، بالرغم من أنه كان على وشك القيام بتلك الخطوة منذ سنوات، لكنه لم يتوقع أن يفعل هذا الآن، لأنه ليس من ذلك النوع المندفع المتهوّر. ما عرفه هو أنه لا يحتمل تصوّر شانون بين ذراعي رجل آخر مجدداً. حتى إن رؤيتها وهي تتكلم مع رجال آخرين في هذه الليلة، جعلته يشعر بغيرة كادت تقوده إلى الجنون، لاسيما أنها بدت لطيفة جداً وآسرة للقلوب. فكر كاين بجدية أنه لا يستطيع بأي شكل من الأشكال أن يخاطر بخسارة عواطفها لصالح رجل آخر، لاسيما بعد أن كشفت له عن سرها. أعاد صياغة سؤاله من جديد: «أريدك أن تكوني زوجتي».

ضحكت شانون ضحكة صغيرة غير مصدّقة ما تسمعه، ثم هزّت رأسها بحيرة: «هل تطلب مني حقاً...؟».

- هل علي أن أطلب ذلك منك خطياً؟

سألت بنبرة مشككة: «لا . . . أعني . . . لماذا؟».

- لماذا؟

فتّش كاين ملياً عن سبب لا يجعله يبدو مثل مراهق ولهان. أخيراً قال: «حسناً! لستُ بارعاً جداً في هذا الأمر، لكن ماذا عن القول إنك تقودينني إلى الجنون؟ في الواقع، لا أظن أن باستطاعتي أن أشعر بالارتياح بعد اليوم، إذا لم تكوني بجانبي. من جهة أخرى حان الوقت كي أخرجك من تلك الدوّامة، كما أنني لا أستطيع أن أفكر بشخص أفضل أو أكثر أهلية للزواج بك. . .».

ابتسم كاين، وأردف:

- . . . مني أنا!.

- أهذا كل شيء؟

ضحكت شانون مجدداً، لكن كاين شعر بارتياح لا يُضاهى، حين أدرك أنها ضحكة فرح هذه المرة.

- أنت تعني ذلك فعلاً. أليس كذلك؟

جعلت الدموع عينيها تلمعان مثل الأحجار الكريمة، فيما أردفت: «لكنني. . .».

بدت شانون مندهشة تماماً، فراحت تبتسم، وتحرك رأسها. أكملت قائلة: «. . . ظننت أنني لم أعجبك أصلاً!».

- لم تعجبينني؟!

ضغطت كاين شفتيه على بعضهما، وهو يكافح لكي يقنع نفسه بذلك، لكن عبثاً. ثم قال: «أردت أن أقتل كل رجل تجرأ على لمسك. على معانقتك. . .».

- لكن حتى يوم أمس، كنت أعتقد أنك على علاقة بإحداهن. . .

لم تكن شانون تستطيع تخيّل العذاب الذي انتابها من جراء تخيله مع امرأة أخرى، والارتياح والفرح اللذين شعرت بهما، حين تأكدت أنها مخطئة باعتقادها ذاك. أضافت: «لماذا جعلتني أظن ذلك؟».

برفق، رسم كاين بإصبعه مساراً من تجويف حنجرتها حتى أذنها، وأجاب: «اعتقادك أن لدي حبيبة، كان الطريقة الوحيدة كي أردع نفسي عنكِ».

قضمت شانون شفتها السفلى وهي تشعر بالابتهاج لأنها تؤثر على رجل بمثل قوّته. سألته بهدوء:

- وهل سألتقي يوماً بأختك هذه؟

أجاب كاين على الفور: «شرط أن تتزوجيني أولاً. اتفقنا؟».

- آه، كاين! بالطبع، سوف أتزوج بك.

سوّت شانون جلستها، طارحة ذراعيها حول عنقه. وسألته: «وهل اعتقدت أنني لن أقبل؟».

تراجعت قليلاً كي تنظر إليه، ومررت يداً على خده.

- لا.

رأت فمه يتحرك وهو يقر بذلك ساخراً، فعلقت ساخرة منه: «يا لكَ من متعجرف!».

قبّل كاين تعليقها قائلاً: «إنها إحدى سيئاتي».

- ومتواضع أيضاً.

ارتمت إلى الخلف، باسطة ذراعيها على ظهر الأريكة، كأنها تغمر العالم بأسره، ثم قالت: «السيدة كاين فالكونر».

غمغم كاين وهو يحدّق إلى وجهها المشدوه، بفم صلب راضٍ: «يبدو هذا جميلاً».

صحّحت شانون تلك التسمية قائلة: «السيدة شانون بوفيير فالكونر».

علّق كاين، وهو يلامس بشرة خدها الناعمة: «قوليها كيفما شئتِ، فالنتيجة هي نفسها».

شانون بوفيير تنتمي إليه مباشرة، كما فكر كاين برضى عارم. مكانها هو معه. . . في حياته. . . في سريره.

إن حقيقة قيامه بما أراد منه رانولف بوفيير أن يقوم به أدهشته كثيراً، بالرغم من أن النتيجة الآن بدت بسيطة للغاية. مع ذلك، بعد أن صارت

شانون تحت رعايته الدائمة، فلا يمكن لهذا إلا أن يُسر والد زوجته العتيدة. هذا ما أدركه كاين على الفور. أما هو فسوف يتمتع بكل ما تقدمه له شانون بطيبة خاطر.

* * *

وصلا إلى لندن وخرجا من المطار المزدحم إلى سيارة كاين المنتظرة مع شروق الشمس. كانت السيارة قد أحضرت إلى المكان بناء على طلب كاين المسبق، وهي ذات لون داكن وسقف متحرك، من نوع مرسيدس. وضع كاين أغراضهما، إلى جانب حقيبة السفر الصغيرة التي تحتوي على بعض الملابس التي تركتها أخته في صندوق السيارة.

الآن، وبينما هما وسط الازدحام الخانق، أرسل كاين نظرة إلى قلب السيارة ثم إلى شانون، وسألها: «هل أنتِ متوترة؟».

قصد كاين بذلك مسألة رؤيتها لأبيها، فهزت شانون رأسها إيجاباً فحسب. منذ اللحظة التي هبطت فيها طائرتهما، بدأت معدتها تنقلب رأساً على عقب.

قال كاين، بصوت هادئ، مطمئن: «لا تكوني كذلك».

وأكمل: «سوف أخبره أنك عدتِ. يمكنك أن تتوجهي إلى المنزل أولاً إذا أردتِ، أو يمكنك الذهاب إلى المكتب برفقتي ومواجهته هناك».

فكرت شانون بذلك المنزل الكبير الفارغ الذي هربت منه بقلب حزين قبل أكثر من سنتين ونصف. لم تشأ أن تعود إلى هناك، وتنتظر طوال فترة النهار، وهي تتساءل عن كيفية استقبال أبيها لها، وعن ماهية المحاضرات التي سيلقيها عليها.

قالت لكاين بعزم: «سأذهب إلى المكتب. لكنني سوف أقابله لوحدي».

وأضافت: «إنه أبي و...».

قاطعتها الرنة المفاجئة لهاتفه الخلوي. تلقائياً قام كاين بالضغط على زر كي يرد على المكالمة.

- مرحباً، كاين! أين أنت؟

سمع الصوت المتعالي لسكرتيرة رانولف من الجهة الأخرى من الخط.

- عدت لتوي من لندن، وسوف أصل في غضون...

أمال كاين رأسه، كي يتفحص ساعة يده، ثم قام بإعطائها توقيتاً تقديرياً.

- هل أنت وحدك؟

أجابها كاين: «لا».

أكمل بثقة بالغة: «شانون جاءت معي. مهما أردتِ قوله، تفضّلي».

سادت لحظة من السكون. ما لبث أن عاد الصوت إلى السماعة، وقد ظهر فيه الثبات والثقة.

سألته المرأة: «هل يمكنك معاودة الاتصال بي؟».

بدا من الواضح أن تلك المرأة تريد أن يسمعها كاين وحده. هذا ما أدركته شانون، فيما أحست أن بريق الابتهاج الذي كان يغمرها أخذ يتضاءل من جرّاء إدراكها أن مساعدي والدها يعتبرون أن ليس من الضروري أن تعرف بما يجري من أحداث. حين وجد كاين مكاناً مناسباً على جانب الطريق لإيقاف السيارة، وبدأ بإجراء المكالمة، أمسكت شانون بمقبض الباب، واقترحت بلامبالاة ساخرة: «ربما علي الذهاب».

أحست بيد تلتقط ذراعها فيما ظلّ كاين يتكلم عبر الهاتف.

- ماذا؟

ساد حينئذٍ صمت مطبق.

- متى؟

اشتدت قبضة يد كاين على ذراعها، فيما سأل: «ما مدى سوء الوضع؟».

سؤاله الأخير ذاك جعل رأس شانون ينتفض، ويتحرك باتجاهه، فيما ثبتت نظرتها على وجهه. همست وهي ترى الخطوط التي أخذت تتعمّق أكثر فأكثر حول فمه وفكّه: «ما الأمر؟».

www.rewity.com

- إنه والدكِ. . . تعرّض لذبحة قلبية، ونقلوه إلى المستشفى.
- هل وضعه خطير؟
أجاب كاين، متمنياً لو أن هناك طريقة ألطف يخبرها بها: «نعم».
مع ذلك، عرف أن هذه الفتاة التي أنقذت أطفال العالم، وتحدت الشملين، واعترضتهم تحت اسم شرف العائلة، لن تطلب سوى الحقيقة.
أضاف: «يبدو الأمر سيئاً للغاية».

١٠ ـ صراع الحب والكبرياء

- أريد البقاء معك على انفراد.
همس كاين بذلك لشانون من خلفِها، فيما راحت أنفاسه تتلاعب بخصلات شعرها الأشقر. إنها المرة الأولى التي يعبّر لها فيها عن اشتياقه لها ورغبته في البقاء بقربها منذ أكثر من ثلاثة أسابيع. عادا في ذلك اليوم المريع من فرنسا، ليعلما أن رانولف بوفيير ليس مريضاً فقط، بل لا يُتوقع له الشفاء.
- قد يدخل أحدهم!
ضحكت شانون ضحكة مرتعشة، مبتعدة بدلال عن اليد القوية. لم يقتصر الأمر على أن باب غرفة الاجتماعات كان مفتوحاً، لكن ثمة احتمال أيضاً بأن يمرّ أحدهم في أي وقت.
- بالنسبة لفتاة تحب السباحة مع الدلافين، فإنني أجد تواضعك جذاباً.
قهقه كاين، وتحرك قُدُماً، ثم علق يافطة «الاجتماع معقود» على الباب، قبل أن يقفله. فقالت في اعتراض خجول، من دون أن تخبئ بريق الشوق في عينيها: «سوف نثير الشكوك».
- ألا تظنين أنهم يعرفون؟
بلى! فكرت شانون واللون يتصاعد إلى خديها. لا شك أن من حولهما شعروا بتقاربهما من خلال النبرة الرقيقة التي يخاطبها بها كاين أحياناً، مرفقة بنظرات متّقدة، وبلمسة يده.
بدا من الواضح منذ البداية في شركة بوفيير للتنمية، أن الجميع هناك يحترمون كاين إلى أقصى حد، بدءاً من المسؤولين الرفيعي الشأن حتى

الموظفين الصغار. في أقل من سنة واحدة، قام كاين برفع قيمة أرباح الشركة، وساعد في وضعها مجدداً على خارطة المنافسة مع غيرها، ولم يعارضه رانولف حين أصرّ على انضمام شانون إلى التدريب الإداري والمشاركة فيه بفعالية. أدركت شانون أن مجرد وجودها بالقرب منه جعلها تستحق احترام الآخرين، لكنهم تدريجياً، بدأوا يحترمونها بسبب شخصها، ويقدرون قدراتها وحسها التجاري، وأخذوا يتقبلونها على أنها فرد قيّم، ولا يسايرونها فقط لأنها ابنة رانولف. والآن، فيما هي تنزلق بين ذراعي كاين، ذابت في عناقه الشغوف، الذي تاقت إليه كثيراً في الأيام الماضية. قال كاين بصوت غير صبور: «أريد أن أعلن خطوبتنا حالاً».

اقترح عليها كاين هذا من قبل، لكن حين كان أبوها في حالة غيبوبة في المستشفى، لم تشعر أن الوقت مناسب. غمغم كاين: «لا أستطيع الانتظار أكثر. أريد أن نتزوج في أقرب وقت ممكن».

مضت أربعة أسابيع تقريباً منذ تلك الليلة من المصارحة والتفاهم على متن اليخت، فقد كان ثمة الكثير من الأمور المقلقة، والكثير الذي يجب القيام به. أما الآن فيما جالت أصابعه برقة فوق بشرة وجهها لتصل إلى عنقها، تأوّهت شانون بارتياح، وقد باتت مستسلمة لعناقه. تمتم كاين فيما سمع رنين هاتف الاتصال الداخلي بجانبهما: «لا أعتقد أن أجواء العمل ستسمح لنا بقضاء بعض الوقت منفردين».

سمعا صوت سكرتيرة رانولف البارد المعتاد: «أريد أن أذكرك أن لديك اجتماعاً آخر كاين، في غضون خمس عشرة دقيقة. كما أنني أكلم تشيستيرون على الهاتف، وهو يريد التحدث إلى شانون».

سوت شانون جلستها بسرعة، ثم أجابت: «حسناً! سوف أتلقى المكالمة من مكتب أبي».

غمغم كاين: «حسناً لقد درّبتك أفضل تدريب، إذا ما أصرّ زبوننا الأكبر على التكلم إلى فرد من عائلة بوفيير، يمكنك تولي أمره».

همست شانون: «أنتَ أعطيتني أكثر من هذا، كاين».

أعطاها كاين فرصة... بل موقعاً في الشركة. لقد أعطاها الاحترام.

بدا كأن كاين يقرأ أفكارها كالعادة، إذ قال فيما فتح الباب لها: «سوف نجعله فخوراً بك».

بالرغم من وجود الصعوبات، فاجأ رانولف بوفيير الجميع، حين استطاع التخلي عن مضخة الهواء على فمه، فصار يصيح بأعلى صوته معطياً الأوامر للممرضات من سريره بالرغم من ظروفه الصعبة.

- قالوا لي إنكِ هنا.

هذا ما تفوه به رانولف حين استيقظ، ورأى شانون جالسة هناك، وكل ما بدا على وجهه المترهّل بل المتورّد، هو نوع من القبول المرتاح. ربت رانولف على اليد النحيلة الممتدة إلى سريره. أضاف: «أنا سعيد لأن كاين جعلك تقتنعين بضرورة العودة إلى المنزل. لطالما أظهرت له الاحترام الذي لم تظهريه لي أنا».

لأنه يحترمني في المقابل، ويدرك قيمتي كمخلوق بشري! هذا ما تمنت شانون أن تقوله، لكنها لم تفعل. إذ إنها لم تشأ أن تُغضب والدها، أو أن تفعل أي شيء قد يعيق تحسنه. في الأمسية السابقة، أثناء زيارتها له، عرفت شانون أنه يتوقع أن يخرج من المستشفى، قريباً جداً.

وإذا كانت شانون قد أملت بتوطيد العلاقة معه والاهتمام به في الوقت الذي يتماثل فيه للشفاء، فقد قام رانولف بإطاحة ذلك الأمل عبر إخبارها أنه لا يريد منها أن تبقى بجانبه، وأنه وظّف ممرضة خاصة للقيام بذلك.

- أخبرني كاين أنك كنتِ في المكتب، وأنك عنصر إضافي قيم.

زمجر رانولف بذلك كأنه لم يصدق الأمر برمّته، ثم أردف: «ابقي هناك وقدمي بعض المساعدة. أنا واثق أنك ستكونين مفيدة».

مفيدة! ليست جوهرية أو ضرورية جداً... إنما مفيدة!

على الأقل كانت شيئاً ما. فكرت شانون بذلك والدموع تلتمع في عينيها، فيما مرّت بجانب مكتبه كي تأخذ المكالمة. لربما في غضون السنوات المئة القادمة، قد يعتبرها قادرة على إبداء رأيها! لكن ما الذي

يهمها على أي حال، ما دامت تحظى بحب كاين؟

انقضت الأيام التالية بحماس وبهجة بالنسبة إلى شانون، بعد أن أعلن كاين خطوبتهما. اصطدما بأسئلة الصحفيين الفضولية، لكن كاين استطاع أن يتهرّب منها بإجابات موجزة ومهذبة يُحسد عليها. بعدئذٍ التقت شانون بالشابة التي اقتحمت المكتب في صباح أحد الأيام، وأصرّت أن يصطحبها كاين مع خطيبته الجديدة لتناول الغداء.

- لم تخسريه لصالح إميلي كولتانيز، إذاً.

قالت صوفي فالكونر هذا ساخرة بعد تناولهما الطعام، حين كانت المرأتان تجلسان وحدهما في المطعم الصغير، فيما كان كاين يهتم بدفع الحساب. بدت ابتسامة صوفي ماكرة، وكذلك ارتفاع حاجبها تحت شعرها الداكن الكثيف عند الأطراف.

تساءلت إذا ما كان هناك شخص آخر في المطعم، يشعر بالسعادة نفسها التي تشعر بها في تلك اللحظة. أجابت شانون مع ابتسامة ساخرة: «كان الأمر أسهل مما تتصورين».

ضحكت الفتاتان، وقد تعزّزت نظرة شانون السابقة التي كانت قد كوّنتها فور التقائها بأخت زوجها العتيد، وذلك بأنها أحبتها كثيراً.

حصلت صوفي على بشرة جذابة خلال الشهر الذي قضته في إسبانيا، والتي ختمت به السنة التي تفصل ما بين فترتي خروجها من الثانوية ودخولها إحدى جامعات البلد. إنها في الواقع ناضجة ومستقلة، وتعرف ماذا تريد من الحياة بالضبط. بدا واضحاً كذلك، من خلال النظرة الحنونة التي ترسلها إلى كاين، أنها تعشق أخاها.

- عرفت أنه اختطفك، وأنك أجبرتِ على ارتداء ملابسي!

نظرت صوفي إلى الأعلى باتجاه كاين، الذي كان عائداً لتوه إلى طاولتهما، وأضافت: «لم أكن أعرف أنها معك، يا أخي العزيز!».

- ظننت أنني شرحتُ لكِ الأمر. شانون لم تكن بحالة جيدة.

أصرّ كاين على قول ذلك وهو يستند إلى كرسيه موجهاً نظرة إلى شانون، جعلت معدتها تخفق. تدخلت شانون بالحديث، وقالت: «لكنه

بعدئذٍ، قام بتزويدي بالثياب في شارع ترويبز».

مالت صوفي برأسها إلى الوراء، وابتسمت في وجهه، ثم علّقت: «شارع ترويبز؟!».

قال كاين مازحاً: «وهذه هي المرة الأخيرة التي تذهب فيها فتاة شابة إلى هناك».

همست صوفي، واعية تماماً لتلك الابتسامة الحميمة المتبادلة بين شانون وأخيها: «لابد أنك سلبت عقله، فمنذ بضعة أشهر فقط، كان مصمماً على البقاء أعزب طوال حياته!».

تشدّق كاين، فيما سحب كرسي شانون وهي تقف: «لا تصغي إليها».

- ولمَ لا؟

ضحكت شانون ضحكة ساخرة. في الواقع حصل الأمر بالسرعة التي أشارت إليها صوفي، وهي ما زالت تشعر بالدوار من جراء قوة عاطفتها تجاهه. إنها لم تشعر بهذا القدر من السعادة طوال حياتها.

* * *

في بداية الأمر، عبّر رانولف بوفيير عن القليل من الدهشة، حين لوحت شانون بالخاتم أمامه فرحة، وهي تقف بالقرب من سريره في المستشفى، وأخبرته عن خططها المستقبلية.

- مبروك.

كان هذا كل ما قاله، لكن شانون عرفت أنه يشعر بالسرور في داخله بالرغم من ملامحه المتصلّبة. في وقت لاحق من ذلك الأسبوع خرج رانولف من المستشفى، فعطّلت شانون أعمالها طوال النهار كي تحضّر لعودته إلى المنزل.

- لا أعرف لماذا أردت أن تشغلي نفسك في أمور الشركة.

هذا ما قاله رانولف لها بنبرة جافة حين كانت الممرضة التي وظّفها تحاول التآلف مع ذلك العدد الكبير من الغرف في المنزل، حيث بقي رانولف وشانون وحدهما لأول مرة في قاعة الاستقبال. أضاف: «خلت

أنني ربيتك كي تكوني بمثابة الدعم والسند لزوج ناجح. كان ذلك كافياً بالنسبة إلى أمك».

عارضته بهدوء: «لا. لم يكن كافياً. أرادت أن تمارس الفروسية، وأن تخوض كل التجارب، وأن تشارك في الألعاب الأولمبية، إلا أن أحلامها بقيت مجرد أحلام، لأنها عاشت كما يريد لها زوجها أن تعيش. أما أنا، فلست مثلها. أنا أشبهك إلى حد بعيد».

زمجر رانولف: «هممم...!».

لكن ظهرت ومضة مفاجئة لشيء ما يشبه الموافقة في عينيه. تابع يقول: «حسناً! لنأمل أن يقوم كاين بكبح طموحك ذاك».

تساءلت هل كان عليه أن يتلفظ بتلك العبارة، إلا أنها رفضت أن تدع أي شيء يفسد عليها سعادتها. التقط رانولف اليد التي كانت ترتب الأغطية حوله، ومرّر إبهامه فوق الخاتم المرصّع بالياقوت، ثم قال: «من الواضح أنك حصلتِ على ما أردته، وكذلك هو».

ابتسمت شانون بوجه مشرق، وأجابت: «آمل ذلك».

- ذلك مؤكد.

قال رانولف هذا، مطلقاً سراحها كي تناوله كوب عصير الليمون عن الطاولة القريبة منه. أضاف: «أما أنا فسوف أحصل على ما أريد حين تعطيني وريثاً. على الأقل، اخترتِ الرجل المناسب لهذه المهمة».

حدّق رانولف بكوب الزجاج الذي وضعه مجدداً على الطاولة، ثم تابع كلامه: «هو الرجل الأفضل لكلينا، شانون. نظراً لرغبته القوية في استثمار الأسهم التي اشتراها حين كانت الأسعار منخفضة، عرفت أنه سيفعل المستحيل كي يقنعك بالعودة، فهو يعرف ما الذي ينتظره إذا أعادك إلى المنزل، لذا ظل يحاول لأشهر. سيحصل على الجائزة الكبرى حالما يتزوج بكِ».

جرت رجفة صغيرة مفاجئة على طول عمود شانون الفقري، فسألته: «وما هي هذه الجائزة».

- العدد الأكبر من أسهم الشركة.

- العدد...؟

تعمّق خط بين حاجبي شانون، وأخذ صوتها يتهدج.

أردف رانولف، غافلاً عن الألم المفاجئ الذي عتّم عينيها: «آه! تظاهر أنه لا يريدها في البداية، ورفض العرض الذي قدمته له».

كررت شانون وهي تشعر برعشة باردة: «العرض...؟».

سألته يائسة:

- إذاً... أنتَ أرسلته في يخته... بحثاً عني؟

يا إلهي! لم تستطع أن تصدّق ذلك عن كاين. ليس الرجل الذي تحب!

عبس رانولف في وجهها، قائلاً: «يخته؟».

تابع يسألها: «هل أتى بكِ على متن يخت؟ هل تودّد إليك وأقنعك بهذه الطريقة؟».

بدا رانولف متأثراً بشكل ملفت. أكمل قائلاً: «حين قال إنه التقى بك في برشلونة ظننت أنك عدت أدراجك. كان عليّ أن أسلم الأمر له، فهو خبير في أمور النساء، كما هو خبير في زيادة أرباح شركة على وشك الانهيار. هذا الرجل خارق الذكاء. في غضون السنوات القليلة التي غاب فيها قام بتأسيس شركة غدت من أنجح الشركات. هجرانه لنا في ذلك الوقت شكل فترة انتقالية في حياته، فلم يتطلّب الأمر منه إلا بضع خطوات في المكان الصحيح. وبطريقة سهلة صار مليونيراً، لكنه الآن يقوم بالخطوة الأفضل، وهي الزواج بك».

لا! بسرعة وإصرار قالت شانون: «هذا لأنه يحبّني!».

ضغط رانولف على فمه، ثم أجاب: «ذلك محتمل... على أي حال، على المرأة أن تحافظ على عشّ حبّها دافئاً، فإن الرجال أمثال كاين، لا ينقادون خلف العواطف».

- حسناً! ما دام يملك ثروة كبيرة، لمَ يسعى كي يصبح أكثر غنى؟

- عليك أن تفهمي، يا فتاة... أن تفهمي كما فعلت أمك... لا يتعلق الأمر بجني الأرباح. الرجال مثلي ومثل كاين يشعرون بالمتعة في

www.rewity.com

خوض المنافسة الصعبة. إنها القوة، شانون. إنها أشبه بطعام شهي لا يمكن مقاومته.

لم تستطع شانون تصديق الأمر. كاين يحبها! لو قام أبوها بعرض اقتراح مماثل لأخبرها بذلك بالتأكيد. أم تراه لن يفعل؟ أخذت الشكوك تهاجمها بوحشية مسبّبة لها الألم والعذاب. حرص كاين بعد كل شيء على إعادتها إلى المنزل، ولم يقل لها في الواقع إنه يحبها. أليس كذلك؟ آه... إلا أنه قال الكثير! قال إنها تثير جنونه، وإنه لن ينام مجدداً ما لم تكن بجانبه. لكن أليست تلك طريقة جيدة ليتجنّب قول كلمة «أحبك»؟

حسناً! ثمة طريقة واحدة لتكتشف الحقيقة. أدركت شانون ذلك وهي تتأرجح بين آلام الشك المتشبثة بها ومعرفتها المؤلمة بحبّها له. ليس عليها سوى أن تسأله بصراحة!

لم تره شانون في تلك الليلة، لأنها اختارت أن تبقى مع رانولف وتهتم به، كما عرفت أن كاين يحضر لقاء يستمر حتى وقت متأخر من الليل. في اليوم التالي، كان عليها أن تطارده في كل أنحاء المبنى الحديث كي تجده، قبل أن تقول لها موظفة الاستقبال إنه دخل إلى غرفة الاجتماعات في وقت مبكر، ولم يكن يتلقّى أي مكالمات. كان كاين يقف هناك بجانب طاولة الاجتماعات الطويلة، ينظّم بعض الأوراق في حقيبته.

أوشك أن يقول: «صباح الخير».

لكنه توقف فجأة حين أقفلت شانون الباب بهدوء خلفها. سألها بإدراك حاد: «ما الخطب؟».

بدت شانون شاحبة ومتوترة، وثمة بقعتان زرقاوان تحت عينيها. همست بنبرة باردة: «أهذا صحيح؟».

كان الطقس ملبّداً بالغيوم، والهواء القادم من النافذة المفتوحة يرسل تياراً بارداً في الغرفة الكبيرة.

سألها عابساً:

- عمَّ تسألين؟

سألته: «هل عرض أبي عليك أن تحصل على أكبر عدد من الأسهم في هذه الشركة؟».

رمقها كاين بنظرة متفحصة، ثم قال: «ماذا؟».

أصرّت شانون، بوجه مقطب بفعل التوتر: «هل فعل؟».

قام كاين بوضع الأوراق التي يحملها على الطاولة بهدوء، بل ببعض التردد، وكأنه يزن كلماته، ثم قال:

- اقترح هذا... نعم.

- مقابل زواجك بي؟

أخذت نبضات قلبها تتسارع، منتظرة منه أن يفكر بالأمر.

أخيراً، قال كاين: «هل أخبركِ بهذا؟».

- هل هذا صحيح؟

لمَ لم ينكر الأمر؟ فكرت شانون، والعذاب ينهشها. لمَ يبدو محتاراً على هذا النحو؟

- حسناً...!

- هل هذا صحيح؟

يا إلهي! لمَ يتردّد؟ لمَ لم يضحك بكل بساطة، ويقول: «بالطبع، هذا ليس صحيحاً؟».

أجاب كاين بعد فترة طويلة: «كان هذا اقتراحه الأساسي... منذ شهور خلت... لكنني رفضته».

- لكنك غيرت رأيك بعد حين؟

راحت العينان اللتان كانتا تتجولان على طول جسدها، تقيمانها ببرودة، قبل أن يقول ببطء: «ماذا تقولين؟».

غمغمت شانون وهي تشعر بالخدر: «إذاً، هذا صحيح؟».

كيف أمكنه ذلك؟

- كيف استطعت؟

- شانون، بالله عليك!

تقدم كاين باتجاهها، فيما راحت تهزّ رأسها، وتتراجع. أضاف:

«ظننت أنه اقتراح مجنون حين طلب مني ذلك، لكنني أدركت أنه قصد منه الاهتمام بك».

- الاهتمام بي؟

لمع في عيني شانون شعور غاضب. سألته: «وأنت... هل كنتَ تهتم لأمري أيضاً حتى دبرتما هذه المكيدة معاً؟».

- ما من مكيدة في الأمر!

أتى جوابه مثل ضربة سوط عنيفة، لكنها وقفت هناك متلقية غضبه المتزايد بالقدر نفسه من القوة والشجاعة اللتين تحلّى بهما.

- لا؟ ماذا تسمي الأمر إذاً؟ اتفاق بين سيدين محترمين؟

أردفت: «دعني أرتاح من ثقل مسؤولية ابنتي، اجعلها تنصاع إلى رغبتك. في المقابل، سأعطيك السلطة التي تريدها!».

- أنتِ تثنين عليّ وعلى جنس الرجال بأكمله، إذا كنتِ تظنين أن أي رجل يستطيع أن يجعلك تنصاعين إلى رغبته!

بدا وجهه شاحباً وعيناه ملتهبتين، ثم أضاف: «ألم تكتفي...؟».

بغضب شديد، تقدّم كاين نحو جهاز الاتصال الذي أخذ يرن خلال حديثهما، ثم قال: «ألم أقل لك، لا مكالمات؟».

أصرّت شانون بينما قطع كاين اعتذار الفتاة المرتبك بحركة غاضبة: «كل ما أعرفه هو ما قاله لي أبي».

- لا يحق له القيام بذلك!

علقت شانون فيما اغرورقت عيناها بدموع مريرة: «إذاً، انطلقت في مركبك اللطيف، وجعلتني أصعد على متنه، بغض النظر عمّا إذا كنت أريد المجيء معك أم لا!».

- آه! هذا ما حصل.

- أما تظاهرك بعدم رغبتك في التقرب إلي فلم يكن سوى جزء من اللعبة... لعبت دور الحامي الشجاع، لأنك عرفت أنها الطريقة الفضلى التي تجعلني أكسب ثقتك... بينما كنت أنا طوال الوقت...

- أحاول أن أكسر رباطة جأشك، جاعلة من نفسي غبية حمقاء، من

دون أن يساورني أي شك في أن ذلك كله عبارة عن خطة محبوكة بعناية!

- أهذا ما تريدين أن تصدقيه؟

ظهرت خطوط عميقة حددت وجهه، فيما استدار كي يدسّ بعض الأوراق في حقيبته على الطاولة.

- ألم يكن ذلك صحيحاً؟

تذكرت شانون بخجل كيف أنها وصفته بأنه الخادم الخانع لسلطة أبيها، ساخرة منه بعد أن تراجع. كم هي حمقاء لعدم إدراكها لمدى طموحه ودقة تخطيطه!

- آه! بحق السماء، شانون! ماذا يُفترض بي قوله تجاه عبارة كهذه؟ كم من المرات علي أن أكرر لكِ ماحصل؟ اقترح رانولف عليّ الأمر... وأنا رفضت. هل هذا حسن؟

- إذاً لماذا غيّرت رأيك؟

- آه! اعتقدت أن السبب واضح.

أجابته متألمة: «لماذا؟».

تمنّت شانون في سرّها: قل لي إنك تحبني! قُلها... مرة فقط! لكنه لم يفعل.

- ألا تعرفين حقاً بعد كل ذلك الوقت الذي قضيناه معاً؟

بدت تانك العينان الباردتان مزروعتين بإمارات الشك، فيما أردف كاين: «إذا كنت لا تعرفين، فأنا آسف لأنني لا أستطيع إخبارك».

بالطبع لا! فهو لن يكذب عليها بهذا الشأن.

سألها بنبرة جافة: «ما الذي تظنينه؟ أتظنين أنني غيرت رأيي، وعزمت على تنفيذ خطة خادعة كي أختطفك، فقط لأتزوج بك؟».

شعرت شانون بألم في قلبها لشدة رغبتها في أن تصدّق أن تلك ليست الحقيقة. لكن كيف عساها تعلم؟

أجابته بعنف وبؤس: «حسناً! لمَ لا؟».

بعد أن تذكرت كلمات رانولف بشأن الشيء الذي يقود رجالاً مثل كاين، وجدت نفسها تضيف: «ما الضير في أن تسعى لتوقع الفتاة في

حبك في بادئ الأمر؟ فهذه نقطة إيجابية إضافية، أليس كذلك؟».

- نعم، ربما هذا ما حسم الأمر!

ضغط كاين على فكّه بعزم، وصار وجهه محمراً من الغضب، ثم قال: «لو عرفتُ أن ثقتك بي ضعيفة إلى هذا الحد، لفكرت مرتين قبل أن أسألك الزواج بي!».

راح كل منهما يصيح في وجه الآخر، من دون أن يتنازل أحدهما.

قالت بوجه مقطب، مدركة أن رجلاً بمثل كبريائه لن يتحمّل تحدّياً مماثلاً: «إذا كنتُ أنا من تريده وليس الشركة، اثبت لي ذلك».

كرّر كاين بنبرة جافة: «أثبت ذلك؟ هل ثقتك بي ضئيلة إلى هذا الحد، لتطلبي مني أن أثبت ذلك؟».

اخترقتها تلك النظرة التي طعنت قلبها فجأة، بوحشية أكبر من أي شيء يمكن أن يقوله. زمجر كاين، فيما قام بإقفال حقيبته بعنف وانتشلها عن الطاولة، قائلاً: «إذا كان عليّ فعل ذلك».

وأكمل: «إذاً، لا داعي إلى قول المزيد».

- كاين!

لكن صوت إقفال باب غرفة الاجتماعات، هو كل ما أجاب صرختها المعذبة.

١١ ـ مواجهة حاسمة

لم تعرف شانون كيف مرّت الأيام القليلة التالية عليها. كان الجميع في المكتب يتجولون حولها ومزيج الشفقة والرهبة على وجوههم؛ الشفقة لمعرفتهم أنها متأثرة بمزاج كاين السيء، أما الرهبة فلإدراكهم أنها لم تتصدّ له فحسب، بل إن ردة فعلها جاءت موازية لردة فعله تماماً. مرّ النهار ولم تسمع أي كلمة منه. بعدئذٍ مرّ يومان، ثم ثلاثة، أربعة... فصارت شانون أكثر توتراً وإحباطاً. كانت تعلم أنه سوف يغادر هذا الأسبوع، لكن لو أنه يحبها، لاتصل بها ليقول لها إن السيطرة على الشركة كانت همّه الأخير حين طلب منها الزواج، وإنه يحبها، وهو سوف يفعل ما بوسعه كي يحلّ سوء التفاهم بينهما. لقد طلبت منه أن يبرهن لها الأمر. أليس كذلك؟ وكانت النتيجة أنه هجرها. أتراها بكل بساطة، أخطأت في طلب ذلك منه؟

فيما كانت شانون جالسة خلف مكتبها، تستعرض أوراق البريد التي تركتها لها مساعدته الخاصة. أرسلت نظرة غاضبة باتجاه الهاتف بجانبها، راغبة في أن تسمع رنينه. إنها في الواقع تتألم لتسمع صوت كاين، لتسمعه يقول لها إنه بالغ في ردة فعله، وإنه يريد رؤيتها، وهو يتحرّق شوقاً ليعود إلى لندن.

لماذا؟ فكرت شانون بائسة، واضعة رأسها بين يديها، ومسندة مرفقيها إلى الطاولة الضخمة. آه! لماذا لا يتصل بها؟

- شانون!

نظرت شانون إلى الأعلى مندهشة.

سألها ستيوارت ماينارد: «هل أنت بخير؟».

يبلغ ستيوارت الثانية والخمسين من العمر، وهو الأكبر سناً بين مدراء الشركة. بدا الرجل نحيلاً، أما تعابير وجهه خلف نظارتيه فبدت قلقة وملؤها الحيرة. طمأنته شانون بسرعة: «أنا بخير».

علّق ستيوارت قائلاً: «تبدين غارقة في هذا الكرسي، وكأنه ابتلعك».

كما لو أنه قصد القول إن ذلك الكرسي يناسب أكثر شخصاً يفوقها من الناحية الجسدية والسلطوية كذلك، شخصاً مثل كاين.

ظهرت ابتسامة متأثرة على وجهها، فيما قالت: «قد تكون المظاهر خدّاعة أحياناً».

- نعم. بالطبع!

عرفت شانون أنه شعر بالدهشة، كما شعر الآخرون أيضاً، من قدرتها الفائقة على الاستفادة من تدريبها الإداري، وكأن هذه الوظيفة خُلقت لها وحدها. قال ستيوارت: «في هذه الحالة، عليك أن تتسلمي موقع المدير التنفيذي بعد رحيل كاين».

- نعم... حسناً...! لن يستمر الأمر سوى بضعة أسابيع. أليس كذلك؟

ذكرته شانون بذلك شاغلة نفسها بتدوين بعض الملاحظات، حتى لا يلاحظ كيف أن مجرد ذكر اسم كاين أمامها يؤثر فيها.

قال بتردد: «فهمت...».

وتابع: «... أنه قرّر ترك عمله هنا، وأن صفقة تشانل أيلاند، هي الأخيرة التي سيعمل عليها شخصياً».

حين رمقته شانون بنظرة مندهشة، لأنها كانت تسمع بهذا للمرة الأولى، أضاف ستيوارت والانزعاج بادٍ عليه: «هذا إن كان ما اعتقدته صحيحاً».

أرادت شانون أن تتلفظ بتعليق يجعلها تبدو وكأنها على علم بذلك، وليس كأنه قرّر الأمر وحده من دون إخبارها به. تساءلت لماذا فعل ذلك؟ أتراه قرّر أن كل شيء انتهى بينهما؟ إن كانت هذه هي الحالة، فهل ما قاله رانولف عن الرجال أمثال كاين، الذين تفودهم القوة صحيحاً؟

هل شعر بعد أن فُضِحت دوافعه الحقيقية، أنه لا يستطيع أن يتحمّل بناء علاقة معها والزواج بها؟ أم أنه مجروح وغاضب منها لأنها أزعجته بإلحاحها؟

وجدت شانون نفسها تقول: «نعم، بالطبع».

- بالطبع! كنتِ تعرفين.

ارتأى ستيوارت أن يجعلها تشعر وكأنها ليست آخر من عرف بذلك، قبل أن يخرج من المكتب، ويخبر المدراء الآخرين أن المشاجرة التي سمعوها من قاعة الاجتماعات تلك، هي أكثر جدية مما اعتقدوا.

حسناً! إنها كذلك. تألمت شانون بفعل تفكيرها هذا، متمنية أن يذهب ستيوارت بعيداً ويتركها لتعاستها. لا شيء أكثر إيلاماً للمرأة من أن تجد أن الرجل الذي تحبّه، سوف يتزوجها فقط من أجل أهدافه الخاصة، وحين تعارضه، يهجرها من دون أن يزعج نفسه بمناقشة الأمر معها، أو الاتصال بها هاتفياً.

www.rewity.com

حاولت شانون أن تتصل به هاتفياً مرتين. في المرة الأولى أجابتها آلة تسجيل الرسائل، أما في المرة الثانية فوجدت خطه مشغولاً. بعد ذلك فقدت شانون أعصابها، فقرّرت أن تنتظر عودته لتتكلم معه وجهاً لوجه.

حين قام ستيوارت بوضع ملف على الطاولة أمامها، سألته والدموع تكاد تنهمر من عينيها: «ما هذا؟».

- هذا مجرد عمل كنت أقوم به لتشيستيرون، يتعلق بمشروع تشانل أيلاند. كان يفترض أن يتولاّه رانولف، لكن أصابه المرض، لهذا وافق كاين على الذهاب إلى هناك بدلاً منه. سيترك غيرنساي في الغد بصحبة الزبائن. خطط رانولف لأن أحضر الحفلة التي سيقيمها كاين لهم مساء الغد.

- في غيرنساي؟

اكفهر وجه شانون، وسألته: «وهل تريد مني أن أرتب لكَ رحلة إلى هناك؟».

بدت ابتسامة ستيوارت كابتسامة تلميذ يافع، فيما قال: «لا! كاين

Breathless

سوف يأتي مجدداً على متن اليخت. سمعت أنه يملك يختاً رائعاً. أظنك تعرفين ذلك».

توقف ستيوارت قليلاً عن الكلام، وكأنه ينتظر أن توافق شانون على صحة ما يقوله. وحين لم تفعل، تابع قائلاً: «كنت أتوق إلى تفحّصه بنفسي، لكن رانولف يصرّ الآن أن يلاقيهم أحد أفراد عائلة بوفيير يوم غد، لذا فأنني أسلّم الأمر برمّته لك أنتِ».

تلعثمت شانون، رافضة بغير تحفّظ: «أنا... لا أستطيع!».

كيف يمكنها أن تذهب إلى هناك كي تحتفي بالزبائن، وتواجه كاين، وكأن شيئاً لم يكن؟ كيف لها أن تتظاهر بالمودة، فيما تشعر بقلبها ينزف بسبب الشكوك المؤلمة، وفيما هناك الكثير ليقال؟ أضافت: «لدي الكثير من العمل هنا...».

أومأت بحركة يائسة باتجاه الملفات المكدسة على الطاولة، وأردفت: «...من جهة أخرى، أنتَ تريد الذهاب حقاً، وأظن أن من العدل في هذه الحالة...».

- سيظن رانولف أنني أخالف قراره.

بدا ستيوارت قلقاً حقاً، وأضاف: «عرف أنني سعيد جداً بالذهاب، لكنك تعرفينه».

وأنت لن تقف في وجهه! تعرف شانون أن ستيوارت هو أحد رجال أبيها الخانعين المطيعين. لن يقف أحد في وجهه، إلا كاين. كاين، وأنا! اضطرب شيء ما في داخلها، ما إن تذكرت أنهما متشابهان، وكأنهما خلقا لبعضهما البعض. لكنها تريد أن تراه وحده، لا أن تلعب دور المضيفة في إحدى الحفلات التي يقيمها. فكرت شانون يائسة أنها إذا رفعت أي شكوى أو اعتراض لرانولف الآن، سوف يأخذ في المجادلة، ويفقد أعصابه ليس إلا، وقد يصاب بانتكاسة، وهي لن تسمح بحدوث ذلك.

لا! قررت شانون أنها لن تفعل أي شيء يشكل خطراً على صحته، بغض النظر عن الألم الذي تعانيه من جراء قبولها لطلباته.

- حسناً! سوف أذهب.

وافقت شانون منهزمة، قبل أن ترى كتفي ستيوارت يتدليان بارتياح.

* * *

خيّم الهدوء على طريق هامبشاير الفرعي، إلا أن ذاك الهدوء لم يفعل شيئاً ليخفّف من شعورها بالتوتر. راحت عروقها تنبض متوترة من جراء توقّعها للأحداث الآتية، فيما ركنت أخيراً سيارتها في موقف المرفأ. تركت البورش السوداء، وتوجهت نحو المركب اللامع المألوف الذي كان متوقفاً هناك تحت أشعة الشمس المسائية.

فيما اقتربت شانون من المركب، بدأت عيناها تلمحان أفراداً غير مألوفين على سطحه، كما سمعت صوت الموسيقى الهادئة المصحوبة مع الضحكات تتهادى من جوانبه، فتأكد لها حينئذٍ أن الحفلة بدأت. فيما تسارعت دقات قلبها تحت فستانها الأسود البسيط، صعدت الدرج المؤدي إلى مؤخرة المركب. شحذت سمعها، لتلتقط ذلك الصوت الذي تاقت لأن يطرق مسامعها، من بين أصوات القهقهات والأحاديث الدائرة. وقف كاين مرتدياً قميصاً باهتة بلون القشدة، وسروالاً قطنياً فضفاضاً. وقف موجّهاً ظهره إلى بابي الممر المفتوحين، وهو يتكلم مع زوجين أنيقين ذوي شعر رمادي اللون، خمّنت شانون أنهما المدير التنفيذي لتشيستيرون وزوجته. رأت أشخاصاً آخرين أيضاً يتجولون في اتجاهات مختلفة، بالإضافة إلى الأشخاص الذين رأتهم على السطح الأعلى للمركب.

فيما نزلت شانون على الدرج نحو الداخل، رآها أحدهم، فلامس ذراع كاين. استدار كاين، وبدت الصدمة على وجهه. ألم يخبره أحد أنها آتية بدلاً من ستيوارت؟

سأل كاين بهدوء، وهو يتوجه نحوها: «أين ستيوارت؟».

راحت بشرتها تخزها بفعل نظرته الحادة، فيما مرت بسرعة على شعرها المرفوع، ثم على كتفيها الذهبيتين الباهتتين تحت ربائط فستانها الرفيعة.

- غيّر أبي رأيه، وأرادني أن آخذ مكانه.

فتشت يائسة في معالم وجهه عن أي شيء قد يوحي إليها بأنه سعيد لقدومها، إلا أن ابتسامته بدت باردة وخاطفة، الأمر الذي جعلها تخشى أن يعتقد أن الفكرة فكرتها. أبقت صوتها منخفضاً، وهي تضيف بسرعة: «لم أخطط لهذا اللقاء، ولم أتمكن من الجدل بشأنه لاسيما أن رانولف مريض جداً».

- بالطبع!

وافق كاين بهدوء، وبنبرة جامدة خالية من أي تعبير، إلا أن شعوراً انتابها بأن كاين يزن كل ردة فعل تقوم بها. لم تستطع تحمل المزيد. تمنت أن يقول لها إنه كان مخطئاً بشأن خروجه من المكتب بعنف كما فعل، وإنه اشتاق إليها، لكنه لم يفعل. فكرت شانون أنه بالطبع لن يتمكن من ذلك أمام هذه الجموع. قوّت من عزيمتها أمام مظهره الجامد، فيما قال: «في هذه الحالة، من الأفضل أن أحضر لكِ شراباً ما، وأقدمك بشكل لائق إلى الضيوف».

وجدت شانون نفسها في حالة ضياع، وهي تسمعه يعرّف عنها أمام ضيوفه. أخذت تسمع ردوداً من أناس، لم تتحدث معهم من قبل إلا عبر الهاتف.

لم يقدمها كاين إلى الناس على أنها خطيبته، بل على أنها فرد من عائلة بوفيير تمثّل الشركة.

اقترح: «يا لها من أمسية جميلة! لِم لا نتوجه إلى الخارج؟».

ما لبثت أن وجدت نفسها على سطح المركب، بعدئذٍ راحت تتبادل الأحاديث مع الضيوف. أبقت شانون الابتسامة على شفتيها، وظلّت تحتفي بالضيوف إلى أن بدأ وجهها يؤلمها.

بعد مرور بعض الوقت أدركت وجود كاين بالقرب منها من نبرة صوته القوية.

أصبحت الآن بمفردها، حين دخلت المرأة التي كانت تتكلم معها، كي تجلب سترتها. شعرت بالشعيرات على مؤخرة عنقها تقف. حوّلت

نظرها عن مراقبة غروب الشمس، لتلتقي بنظرة كاين المحدّقة إليها مباشرة.

بدت نبرته ساخرة باردة حين سألها: «هل تستمتعين بوقتك؟».

شعرت ببشرتها تحترق من جراء تفحّصه الدقيق لها. أرسلت نظرة سريعة باتجاه البابين المفتوحين المؤديين إلى الصالون، حيث اختار بعض الضيوف البقاء، وقالت: «لم تخبرني أنك سوف تغادر».

أجاب: «لم أتخذ قراري النهائي إلا مؤخراً، فلم يتسنّ لي الوقت لإخبارك».

- آه... ! وجعلتني أعرف الخبر من ستيوارت.

ارتعش صوت شانون، فيما تحدته سائلة: «وكيف تظن أن الأمر بدا؟».

أجاب كاين بوقاحة: «كأننا متخاصمين».

أضاف فجأة: «لا يهم كيف بدا الأمر، بحق الجحيم».

بدا كاين للحظة واحدة كأنه يراجع نفسه، قبل أن يتابع القول: «لم أكن أحاول أن أهينك شانون، بالرغم من أنك تصرّين على الاعتقاد أن هذا هدفي الوحيد في الحياة. طرأت مشكلة في شركتي الآن، تتطلّب وقتي وطاقتي، أكثر مما تحتاج إليهما شركة بوفيير. سوف تواصل شركة بوفيير نجاحاتها مع المدير التنفيذي الجديد، لاسيما مع السياسات الجديدة التي وضعتها قيد التطبيق. ما من داعٍ لأن تقلقي أنت أو رانولف بهذا الشأن».

استدارت شانون كي لا يتمكن كاين من رؤية دموعها.

- ما زلت تضعين خاتمي!

بسرعة، سحبت شانون يدها عن السياج، وأطبقت أصابعها على خصرها، بينما تابع كاين: «أهذا من أجلهم؟».

ثم أردف بصوت أجش: «ألكي تحفظي ماء الوجه، أم أنك غيّرت رأيك بشأن خطوبتك لرجل يريدك لمجرد ما تعنين له من أسهم وحصص؟».

سخرية كاين هذه أثارت حفيظتها. تحدته بعزم، بعينين مثبّتتين على عينيه: «ماذا عنك؟».

بقيت عواطفه محجوبة تحت أهدابه الكثيفة، فيما قال: «عليك أنت أن تقرّري بهذا الشأن».

وثقت به من قبل، لكن ما لبثت هذه الثقة أن انفجرت في وجهها، وهي ليست مستعدة لأن تخوض المعاناة مرة أخرى. بعدئذٍ، سُمع صوت أحدهم ينادي كاين عن درج السطح الأعلى. قال بهمسة خشنة: «سوف نتكلم لاحقاً».

لم تتسنّ لشانون فرصة أخرى للتكلم معه على انفراد، إلا حين كانت خارجة من حجرة الضيوف بعد استخدامها للمرحاض التابع لها في وقت لاحق. شهقت حين ظهر كاين من المكتب الواقع في الجانب الأيسر المحاذي للغرفة. علّق بنبرة جافة، وهو يلاحظ إجفالها فور رؤيته: «عليكِ بتناول كوب من الشراب المنعش، كي تريحي أعصابك المتوترة».

ثم أضاف: «إمّا هذا، أو علينا إيجاد وسيلة أخرى لكِ كي ترتاحي».

اجتاحت شانون الحرارة على الفور، ما جعل رجليها تضعفان. أجابته: «أتظن أنك تستطيع أن تقنعني بهذه الطريقة؟».

ضحك كاين برقة، وأجاب: «ألا يمكنني؟».

بدا صوت كاين مغوياً وناعماً، فاجتاحت ذهنها صور العناقات الشغوفة التي تبادلاها والمشاعر الجياشة التي اختلجت في صدريهما معاً. ارتفعت ذراعه نحو الحائط، فاحتبسها هناك. ابتلعت شانون ريقها بقوة، وأخذت نبضاتها تتسارع من جراء اقترابه منها.

- لا تتحداني، كاين!

تجاهل كاين تهديدها المرتعش، ثم قال: «يمكنك البقاء هنا الليلة، والذهاب في الصباح. لست في وضع يسمح لك بالجلوس خلف مقود سيارة، فأنت مرهقة...».

- من قال إنني مرهقة؟

أجابها كاين بوجه متجهّم: «من المستحيل أن أسمح لكِ بالقيادة ليلاً».

أكّدت له شانون بعزم، خائفة من تصميمه على منعها: «لا يمكنك أن تمنعني، إلا إذا أعطيتني سبباً وجيهاً لبقائي هنا».

اشتبكت نظراتها بنظراته، وضاقت حنجرتها فيما شعرت بألم حاد وهي ترى قوة العاطفة في حدقتي عينيه الصلبتين. تاقت لأن تستسلم لمشاعرها المعذبة فتنسى نفسها بين ذراعيه القويتين، لكنها ما زالت غير واثقة بعد. بدأ كاين بالكلام، لكنه توقف فجأة، ونظر إلى الأعلى، إذ رأى إحدى الضيفات تنتظر عند أعلى الدرج لتستعمل المرحاض التابع لغرفة النوم.

حثت شانون خطاها باتجاه السطح، متشبثة بفرصة لتبتعد عن كاين، وتركته واقفاً هناك.

تجاوزت الساعة الحادية عشرة قبل أن بدأ الزوار بالمغادرة، لكن في النهاية، لم يبقَ سوى القليل منهم.

بدا هواء الليل بارداً، إلا أن شانون بقيت على السطح. راحت تفرك ذراعيها بلا وعي، وهي تحدق باتجاه الشاطئ المغمور بالظلام، مسرورة لتمكنها من البقاء بمفردها لبعض الوقت.

- إذاً... ها أنتِ هنا!

ذلك الصوت العميق المألوف جعل ظهرها يستقيم. فيما تابع: «أردت أن أشكرك على قدومك».

بدا صوته رقيقاً. أضاف: «جرت الحفلة على خير ما يرام».

- نعم.

تناهى صوت الضحك إليهما من مؤخرة المركب، من الأشخاص المنتشرين هناك بعد الحفلة. أكدت له شانون رداً على ما قاله عن تواجدها هنا: «لم يكن هذا قراري. أبي أصرّ على ذلك».

سمعت النفس القوي الذي استنشقه كاين، قبل أن يسألها: «أهذا هو السبب الوحيد الذي دعاكِ إلى القدوم؟».

بدا صوته خشناً بفعل عاطفة ملموسة، ما جعلها ترتجف. قامت بفرك ذراعيها العاريتين مجدداً، كي تبقيهما دافئتين. همّت بالابتعاد عنه، لكن يديه أطبقتا على أعلى ذراعيها، فاحتجزتاها مكانها.

همس كاين، متنشقاً العطر المنبعث من شعرها: «أنتِ ترتجفين، لأنك مشتاقة إلي... كما أنا مشتاق إليك».

كرّرت شانون ما قالته، حابسة أنفاسها لأنه على حق: «لا تحاول!».

سألها بصوت أجش: «لماذا؟ ألأنك ما زلت مستعدة لتصديق ما أخبركِ إياه والدك... بأنني سأتزوج بكِ من أجل كل سبب ما عدا السبب الواضح؟ ألأنك لا تستطيعين تخيّل أن من الممكن أن أقع في حبّك؟».

تلك النبرة القاسية في صوت كاين جعلت شانون تنظر إليه بتساؤل، تائقة لتصديقه، فيما راحت حواسها المشوّشة تتلمّس دفأه ورائحة عطره وقربه الذي جرّدها من قدرتها على المقاومة...

- آه... ها هو هنا!

فجأة، انضمّ إليهما الزوجان الكهلان اللذان رافقاه من غيرنساي على متن اليخت، وبدا من الواضح أنهما يرغبان في التحدث إلى كاين في شأن خاص. تركتهما شانون مع مضيفهما، إذ لم تشأ التطفل على الحديث.

بعد مرور بعض الوقت شعرت بالسرور لتمكنها من الانفراد بنفسها. أخيراً، سوف تتسنى لها فرصة للتفكير. أخبرت كاين أنها عائدة إلى لندن هذه الليلة، لكن هل تستطيع ذلك الآن؟ قال كاين إنه يريد التكلم معها، ومهما كان ما سيقوله، عليها أن تصغي إليه.

قال إنه يحبّها... أليس هذا كافياً بالنسبة إليها؟ حسناً! هذا ما قاله تقريباً. بالطبع! كيف يمكن لرجل عاملها بهذه الرقة ألا يكون في حالة حب، بغضّ النظر عمّا قاله رانولف؟

كانت الأنوار مضاءة، عندما عادت إلى الداخل. انسلّت نزولاً نحو الصالون الفخم. وجدت شانون الغرفة كما تركتها، فعادت إلى ذهنها

ذكرى تلك الليلة في كان. في تلك الليلة، وقعت في حب كاين كلياً... في هذه الغرفة... جلست وراحت تخبره عن أسرارها الأكثر حميمية. يومها عرفت بكل غريزة أنثوية أنه لن يؤذيها، ولن يستغلّها أو يخونها. يا لها من غبية إذ تركت شخصاً آخر يجعلها تظن أنه قد يفعل! قرّرت شانون أن تنتظره هناك. سوف تعتذر منه لأنها لم تثق به، و...

لكن، هل تراه سيسامحك؟

كانت شانون قد قطعت نصف المسافة حين خطرت ببالها تلك الفكرة اللعينة الصغيرة. ثمة أوقات في هذه الليلة بدا خلالها كاين جافياً جداً، لكن ماذا تتوقع؟ سألت شانون نفسها... ماذا لو أساءت قراءة العلامات... أساءت فهم الكلمات؟ ماذا لو أنها لم تعد تعجبه أصلاً؟ مع هذه الفكرة الأخيرة قررت التوجه إلى غرفة الضيوف...

www.rewity.com
Breathless

١٢ ـ من أجلك فقط!

نزل كاين الدرج، فبدا كأن عطرها ساكن فيه. لو أن شانون غادرت اليخت، لما ظل عطرها يفوح بهذه القوة. تردّد عند باب حجرة الضيوف...

كان عطرها يفوح بقوة أكبر من ذي قبل. هل تلك مياه جارية في الداخل؟ تساءل كاين وهو يستمع بكل عصب نابض وبكل حاسة متنبّهة. أتراها نسيت شيئاً ما؟ حاول أن يحلّل الموضوع بفكر مشوّش. أتراها أرادت أن تناقش المسألة معه بعد كل شيء؟ لكن، لماذا لم تنتظره في الأعلى؟ لربما أتت كي تفض الخلاف، ولتخبره كم هو حقير بنظرها، ثم تغادر مجدداً؟ أراد كاين أن يدفع الباب بقوة ويفتحه، ويكتشف الأمر. أراد أن يدخل الغرفة، ويجذبها بين ذراعيه ويخدّرها بعناقه، حتى تخور قواها كلياً، ولا يبقى أمامها خيار آخر غير الاستماع إليه، إلا أنه لم يعرف ما الذي ردعه.

لم يشعر كاين يوماً أنه فاقد للسيطرة على نفسه كما شعر في هذه اللحظة من حياته. فكر أن المشكلة التي فرقتهما هي نفسها الحل لها. القوة!

* * *

صوت المحرك جعل رأس شانون ينتفض عالياً أمام مرآة المرحاض. ما الذي يفعله كاين؟

ركضت نحو غرفة النوم، والفرشاة لا تزال في يدها؛ إنه يحرك اليخت!

الأنوار المرتدّة للشاطئ أكدت لها شكوكها. لماذا؟ إلى أين تراه ذاهب؟

سمعت شانون آخر ضيف يغادر قبل وقت قصير، وتوقعت أن ترى كاين مجدداً. توقعت أن ينزل إلى الحجرة. من الواضح أنه لا يأخذ أي شخص آخر في جولة تحت نور القمر، كما أنه مسافر إلى لندن في صباح اليوم التالي، فلماذا غادر حوض رسو السفن إذاً؟

رمت الفرشاة على السرير بلا مبالاة. حان الوقت لتجعله يعرف أنها هنا، قرّرت ذلك وهي تحسّ بوخز خفيف في أعصابها.

مشت إلى الباب متعثّرة الخطى، لكن لدهشتها... وجدته مقفلاً. تساءلت بارتباك وحيرة، لِم لا يفتح؟ بعد بضع محاولات عقيمة، بزغت فكرة في ذهنها. لابدّ أن كاين نزل إلى هنا، فيما كانت هي تضع تبرّجها محاولة أن تُحسن هيئتها، ولم تسمعه. عرف إذاً أنها هنا في الأسفل، وأقفل عليها الباب! ما الذي يظن نفسه فاعلاً؟ هل أخذ بجدية ذلك الاقتراح الذي قدّمه بارت في ذلك اليوم في شارع تروبيز بشأن احتجازها؟

حسناً! لو أنه ما زال غاضباً منها لما استحسن هذه الفكرة أصلاً. لن يتجرأ على القيام بذلك، إلا إذا كان مجنوناً بحبها.

لربما اعتقد كاين أن اختطافها هو الطريقة الوحيدة ليعيدها إليه مجدداً، وليجعلها تستمع إليه. ليته يعلم أنها ستستمع إلى كل ما سيقوله لها، أما الآن فجلّ ما تريد أن تفعله هو التكلم معه! حسناً ما الذي يفترض بها القيام به في هذه الأثناء؟ أمجرد الجلوس والانتظار؟ إنها لم تجلس وتنتظر أي شيء في حياتها كلها...

وألقت نظرة حولها. أجرت تقييماً سريعاً للحجرة. ثم دفعت المقعد باتجاه باب الهروب الأرضي، وخطت بخفة نحو مؤخرة المركب.

كانت سماء منتصف الليل مزينة بملايين النجوم. هنا في الهواء الطلق بجانب المحيط، شعرت بالهواء المسائي بارداً على بشرتها، لكن التوقع المستعر أبقاها دافئة. أنارت الأضواء الخافتة تحت كل درجة طريقها

نحو السطح الأعلى، فيما راحت الريح تتلاعب بشعرها وتطيره. استطاعت شانون أن تشعر بنبضاتها الخافقة، لكن بفضل جوربيها السوداوين، لم تُصدر أي صوت على الدرج.

كان كاين واقفاً خلف دفة المركب، وهو يدير ظهره لها. بدا كأن الحب الذي تكنّه له مسيطر عليها، فيما راقبته يوجّه نظره نحو الأضواء على الشاطئ، ثم يخفضه نحو المقعد، كي يتفحّص شيئاً على المرقاب، ثم يخفف من سرعة المركب. كيف أمكنها أن تشك فيه؟

بخفة ماكرة، تسللت خلفه صامتة كالظلال، ثم رفعت ذراعيها وثبّتت يديها فوق عينيه. سمعته يلتقط أنفاسه، وشعرت بظهره يشتدّ، لكنه لم يقم بأي حركة أو يصدر أي صوت، فيما تلفّظت بنبرة خفيضة: «أريد أن أبقى معك».

بسرعة البرق استدار كاين، وضمّها إلى صدره. لم يعد من شيء ذي أهمية في تلك اللحظة، لأنها موجودة حيث تنتمي، بين هاتين الذراعين القويتين، فيما استجابت لعناقه الشغوف، وكأنها افترقت عنه عمراً كاملاً.

خرجت الكلمات من فم كاين بتعب، حين رفع رأسه أخيراً: «ما الذي جعلك تتخذين هذا القرار؟».

- آه، كاين! كم أنا غبية... أنا آسفة على كل ما قلته... أعرف أنك تحبني.

أكملت بتوق أكبر: «أنتَ تحبني. أليس كذلك؟».

جاء تطمينه لها ناعماً مثل صوته حين سألها: «كيف أمكنكِ أن تشكّي في الأمر؟».

غمغمت شانون: «لطالما أردت البقاء بقربك. لم أصدّق أنني قد أكون محظوظة إلى هذه الدرجة».

أجاب كاين:

- آه! أنا هو المحظوظ.

وأكمل:

- حين فكرت أنك ستغادرين هذه الليلة، كدت أفقد صوابي!

- كذلك أنا. لهذا كان عليّ أن أبقى...

مررت أصابعها برفق على طول خط فكه الخشن. وتابعت: «... لِم احتجزتني؟».

- لأنني أتحرّق شوقاً للتكلم معك.

انحنى كاين كي يعدل شيئاً ما على لوحة القياس. أردف: «كان علي أن أبقيك على متن اليخت، لذا أطلقتُ عنانه. لم أشأ المخاطرة بخسارة هذه الفرصة أو بحصول شجار بيننا يغادر بعده أحدنا مجدداً».

بدت كلماته تذكيراً أليماً لها بالعذاب الذي عانت منه على مرّ الأسبوع الأخير، بعد أن هجرها، ثم الكرب غير الضروري الذي لا بد أنها سببته له هذه الليلة.

- لن أتركك.

همست شانون واضعة يديها على كتفيه. خاب أملها حين توانى كاين عن معانقتها.

- في البدء ثمة شيئان أريدك أن تعرفيهما.

تحركت يداه فوق بشرة ذراعيها الناعمة الباردة. لم يعد كاين متأكداً أنه يستطيع التركيز على ما سيقوله، لكنه سيحاول.

- أنا آسف بشأن خروجي بطريقة عنيفة كما فعلت نهار الاثنين، لكنني كنت متألماً جداً... وغاضباً أيضاً... منك ومن رانولف.

استطاعت شانون أن تدرك مدى انزعاجه من الطريقة التي تلفّظ بها باسم أبيها. أضاف كاين: «حين طلب مساعدتي، قدمتها له لصالح مآربي الشخصية فحسب. كانت الأسهم منخفضة السعر، فكنت قادراً على شراء الكثير منها. كان هدفي أن أبقى هناك لمدة سنة، وأحسّن الأوضاع، ثم أبيع مجدداً كي أعيد الاستثمار في إحدى المضاربات الخاصة بي. وحين طلب مني أن أجدك، وعرض علي أن يبيعني العدد الأكبر من الأسهم إذا تزوجتكِ، رفضت الفكرة كلياً. كان من المستحيل أن أوافق على أمر كهذا. حسب اعتقادي، رانولف مازال يعيش في ذهنية

القرن التاسع عشر، إن ظن أنه يستطيع انتقاء الرجل الذي ينبغي على ابنته تزوّجه».

ثم أردف: «بدأت البحث عنك، لأنني أحسست بقوة رغبته في أن تعودي، لكن السبب الأساسي هو أنني شعرت بالقلق عليك. أردت أن أراكِ مجدداً، وأردت أن أعرف مكانك، وأتفقد أحوالك. حين وجدتك في برشلونة في ذلك اليوم، كان الأمر وليد الصدفة المحضة، لكن ما قاله والدك كان قد قيل، وبدا من المستحيل أن يتراجع عن أقواله. طرأت الفكرة على رأسي بتلقائية في تلك الليلة، فطلبت منك أن تتزوجي بي. لم تكن هناك من طريقة أستطيع فيها أن أبقيك على متن المركب من دون الوقوع في حبك. لطالما عرفت أنك امرأة فاتنة، لكنني لم أكن مستعداً لقوة تأثيرك المدمر علي. حين أصبحنا خطيبين، أدركت أن أباك سوف يرى الأمور على طريقته الخاصة ويظن أنني متماشٍ مع اقتراحه الأصلي، لكنني قلت لنفسي إن ذلك يعنيه وحده. أما ما لم أتوقعه فهو أن يكون غير حساس إلى هذه الدرجة ويخبرك عن الموضوع بأكمله».

مجدداً، ظهرت تلك المسحة من الغضب في صوته، وأردف: كل ما كان باستطاعتي فعله هو الأمل بأن تدركي نقاط قوتي ونقاط ضعفي».

أجابت شانون بحب ورقّة: «أنا أفعل».

مرّرت إصبعاً رقيقاً على خط فكّه وصولاً إلى حنجرته. أضافت: «باستثناء أنك لا تملك الكثير من نقاط الضعف».

ضحك كاين بلطف. وأجاب: «حسناً...! ربما هناك واحدة فقط...».

إنه يتوق إليها بقوة تفوق قدرته على الاحتمال! ملأ كاين رئتيه بالهواء. ثمة شيء واحد آخر يريد أن يقوله لها. شيء عليها أن تعرفه. تابع: «...حين نتزوج، سوف آخذ العدد الأكبر من الأسهم، شانون».

فتحت شانون الجفنين الذهبيين المنبسطين فوق عينيها الدامعتين.

- سوف أحصل على هذه الحصص، ثم أحوّلها لكِ رسمياً. بهذه الطريقة، سوف يكون لكِ الرأي الأول في كيفية سير الأمور، بالإضافة

إلى اقتراحات تضعينها بنفسك.

- آه، كاين!

فيما ترقرقت الدموع من عينيها، سوّت شانون جلستها وغمرته بيديها، مستمتعة بدفئه وقوته وحدّة الحب الذي استطاعت أن تراه في أعماق عينيه. غمغمت متأثرة: «أحبك».

ثم أردفت: «لطالما أحببتك. أنت أعطيتني الكثير، وكل ما فكرت فيه حتى الآن هو التمرد والعصيان».

- هممم...!

بدا كاين كأنه لم يوافق فحسب، بل أنه أحب الفكرة أيضاً. أمسك بشانون بعيداً عنه قليلاً، كي يستطيع النظر إلى عينيها. قال بنبرة جافة: «ظننت أنني أقفلت عليك في غرفتك... كيف تمكنتِ من الخروج؟».

تلفّظت شانون بنبرة ممازحة: «أظنك عرفت أنني سأفعل».

جالت نظراته فوق جسمها النحيل، قبل أن يقول: «أنا سعيد لأنك فعلتِ».

تمنّى لو أنه ترك اليخت هناك في حوض رسو السفن، بعد أن تبين له أن شانون لا تنوي الهروب والابتعاد عنه.

- حسناً! استطعت الصعود إلى طاولة التبرّج، ثم عبرت باب المخرج الأرضي.

جذبها نحو ذراعيه مجدداً، حتى صار شعرها منسدلاً فوق ذراعه، تساءل كاين ما الذي فعله كي يسلب لب تلك المرأة المحبّبة اللطيفة. همس بصوت أجش، غير قادر على الاكتفاء من النظر إليها: «أنت جميلة!».

وأضاف: «جميلة وذكية و...».

وأردف بصوت تزايدت خشونته بفعل العاطفة: «... مدهشة، خيالية. حتى في طفولتك كنتِ كذلك».

ذكّرته شانون، وهي تعود بذاكرتها أيضاً إلى الشوق العقيم لتلك الأيام: «لم أكن طفلة... كنت امرأة».

وأضافت: «لكنك لم تلاحظ».

علق كاين بصوت خفيض: «آه! بلى... لاحظت».

فاجأها قوله، لكنها لم تستطع إجابته بسبب إحساسها بيده الدافئة تتحرك فوق عنقها، شهقت شانون فيما طوقت يداه كتفيها من جديد. كرّر كاين: «كما قلت، أنت مدهشة، خيالية، متمرّدة، وجذابة إلى حدّ لا يُحتمل».

www.rewity.com
Breathless

تأوهت شانون متأثرة بتلك العاطفة الجياشة. ذكرته بإلحاح، وهي تمرّر ذراعاً حول عنقه كي تجذبه نحوها: «وساعية إلى لفت الانتباه».

لم يكن كاين بحاجة إلى المزيد من التشجيع، شدها نحوه كي يعطيها كل الانتباه الذي تريده، إذ لم يبقَ من شيء يقال.